الباب السادس

أعداء الإسلام والحركات الإسلامية

●● وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: الاستعمار الصليبي العدو الأول للتوجه الإسلامي.

الفصل الثاني: الكيان الصهيوني العدو الثاني.

الفصل الثالث: النظم الدكتاتورية العدو الثالث.

الفصل الرابع: دوافع العداء ومواقع الالتقاء بين الأعداء.

الدور الصليبي
في ضرب الإسلام الحركي ممثلاً في الجماعات الإسلامية

● تصور عام:

تمرّ الحركات الإسلامية اليوم بظروف يكاد يخيم عليها القتام، وأجواء ملبَّدة بالغيوم والغبار أينما تتطلع الأنظار ترىٰ الواقع يكاد يكون خاضعاً للحصار مطحوناً بالضغوط، مع سعي قوىٰ عديدة معادية؛ لتضييق الحلقة حول الرقاب، كما تنفرد الحركات الإسلامية الرشيدة وحدها بالعمل علىٰ الساحة، ساعية إلىٰ تحقيق أهدافها وبلوغ نجاحات لسياساتها.

وإذا كانت الحركات الإسلامية قد مرَّت بأكثر من محنة، واعترض طريقها العديد من العقبات والحواجز والسدود، وتلبَّدت أجواء العمل حولها أكثر من مرة - فإنَّها كانت في كل محنة تعد النظر في المسيرة، وتخضع المرحلة لإمعان النظر والتأمّل، وتربط الأمس باليوم، واليوم بآفاق المستقبل... وتلتزم المعالم، وتستلهم من مواكب السابقين العبرة والعظة والدروس، وتنقي السرائر والضمائر.

إنَّ كل محنة أو شدَّة، كانت بمثابة الوقفة للتقويم والفرز، والمراجعة والمحاسبة، تقويم السبل والوسائل والخطط والسياسات مع تلمس مدىٰ الصلة والارتباط بين الإيمان والفهم والعمل، ومدىٰ الحب وعمق الأخوة كوسيلة ربط وارتباط.

واليوم - ومع ما يبدو في الأجواء من غبار وسُحُب، وما يبدو في الآفاق من نذر أحداث وتطورات - يتطلَّب الحال وقفة تعتمد الفكر الصافي والعين الفاحصة والقلب الخاشع؛ لإمعان النظر والتأمّل، وقفة ملؤها الأمل في الله، والتوكُّل علىٰ الله، وإخلاص النية والوجهة له، والتجرد من كل زاد إلَّا الزَّاد الذي يرضيه، وقفة يصاحبها الاطمئنان إلىٰ جنب الله، والعمل في سبيل الله علىٰ بصيرة وهُدىٰ، كما تصاحبها الثقة في وعده ومضىٰ سنته في كونه، وتأييده لصحوة عباده علىٰ كتابه

وسُنَّة رسوله، فهي أمل عند الدُّعاة، مصدر الخوف والقلق عند أهل العداء.

وما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل، وآيات الله في كونه لا تُعَدُّ ولا تُحْصَىٰ، ورحماته بعباده وسط نيران الحقد عن الأعداء واسعة، وما على الدُّعاة إلَّا بذر البذرة، بعد تمهيد وإعداد الأرض، ثم سقيها ورعايتها بسد حاجتها من الأسباب. أمَّا الإنبات والنمو، والإثمار، فعلى الله سبحانه، ثلاث أعداء يتربصون بالحركة الإسلامية في وقتنا الراهن، ولا يقفون في عدائهم دون اجتثاث الجذور وإسدال ستار ينهي مسيرة تمتد منذ ١٩٢٨م حتىٰ اليوم. وما زالت الحركات الإسلامية ـ كما يبدو من خلال مشاهد بصماتها ـ واحة على الواقع العربي وخارج الواقع العربي، تعطي، بل وتواصل العطاء.

العدو الأول: وحسب ترتيب الخطورة ودرجة العداء وإمكاناته: هي الولايات المتحدة والدول الصليبية.

العدو الثاني: وأيضاً حسب ترتيب الخطورة، وإمكانات عدائه، وخطورة أساليبه ودهائه، وجذور حقده: هو الكيان الصهيوني الغاصب.

العدو الثالث: يتمثل في النظم الدكتاتورية على ساحة العالم الإسلامي، والتي تفتقد الشرعية كما تفتقد الشعبية، وليس لها هَمّ أكبر من الاستمرار في السلطة، كما صار لا يقلقها شيء مثل التخلي أو الإبعاد عن السلطة؛ أي أن السلطة صارت مسألة حياة أو موت لها.

وإن كان ثمة ملحوظة واضحة وملموسة يجب تسجيلها، هي أن العلاقة وثيقة بين الأعداء الثلاثة، وأنه قد بات واضحاً، بل وبدرجة سافرة، إن هناك تعاوناً بينها وهو وليد ارتباط المصالح، والتقاء السياسات، كما أنه وليد ارتباط مصيري بين النظم الحاكمة وبين الولايات المتحدة الأمريكية أو بينها وبين الكيان الصهيوني، وأكبر مثال على ذلك: مؤتمر (شرم الشيخ الذي عقد في شهر مارس ١٩٩٦م وذلك بحضور أبرز رؤساء الدول الكبرىٰ أو ممثلين عنهم؛ لتحقيق التزام دولي لأمن إسرائيل، وحضور الدول العربية رؤساء أو من ينوب عنهم للتنديد بالمجاهدين

محولين الجهاد المشروع ضد المستعمر المحتل إلىٰ عمل إجرامي تطارده العرب والمجتمع الدولي ومعطية لإسرائيل الضوء الأخضر لتصول وتجول في الإسلاميين قتلاً وسجناً باسم محاربة الإرهاب يساعدها علىٰ ذلك السلطات العربية والإسلامية والعالمية، وقد كان أول من تنادىٰ إلىٰ هـٰذا المؤتمر ودعا إليه: بعض الرؤساء العرب!!!

ومن أجل رؤية فاحصة لطبيعة الظروف والأجواء التي تقوم فيها الجماعات بواجب الدعوة إلىٰ الله، ومدىٰ الأخطار التي تحدق أو تحيط بها، والعقبات والصّعاب التي تعترض طريقها، كان من المناسب، بل من الضروري، أن نتناول بالدراسة والمتابعة سياسة وتوجه كل طرف من الأعداء الثلاثة، والمرتكزات التي ينطلق منها عداؤهم للجماعات مع دراسة لنمط المواجهة ووسائلها.

* * *

الفصل الأول
الاستعمار الصليبي
العدو الأول للتوجه الإسلامي

بدأ التواجد الاستعماري يمارس دوراً فعَّالاً في الأحداث والمواقف والتطورات على ساحة العالم الإسلامي مع نهاية الحرب العالمية الثانية، حيث بدأت كفة الحلفاء تميل إلى الرجحان، مع أفول ـ أو سقوط ـ دول المحور، وأيضاً مع أفول نجم أكبر امبراطوريتين استعماريتين في العالم الحديث؛ هما: بريطانيا وفرنسا؛ إذ صاحب كل ذلك صعود نجم الولايات المتحدة كقوة عالمية حديثة حالت دون سقوط أوروبا أمام جحافل النازية، ثم حالت دون سقوط غرب أوروبا بعد ذلك أمام المد الشيوعي الأحمر بقوة السلاح حيث قامت بإمداد الحلفاء الغربيين بالمال والعتاد والدعم والعون، الأمر الذي كان من نتائجه، أن ورثت الولايات المتحدة الاستعمار البريطاني والفرنسي، وتولت الزعامة الغربية، ومارست دوراً استعمارياً جديداً؛ لرعاية مصالحها التي اتسعت وتضاعفت، وأيضاً رعاية مصالح الدول الغربية.

● **الوجه الآخر للاستعمار:**

ولما كانت هناك وعود بريطانية وفرنسية قد قطعتها الدولتان الاستعماريتان على نفسيهما قبل الحرب وإبانها للشعوب العربية والإسلامية بمنحها الاستقلال الكامل بعد الحرب إذا ما تعاونت مع دول الحلفاء في مواجهة النازية، ولما كانت أمريكا قد ورثت بريطانيا وفرنسا في مناطق نفوذهما، فقد قامت كي تواجه صيحات الاستقلال والتحرر في هذه الأقطار. مع نهاية الحرب باتِّباع أسلوب جديد وسياسة جديدة في التعامل مع هذه الشعوب، وخاصة أنه كانت هناك أسباب «الانتفاضات والثورات الشعبية مثل الهزيمة العربية في حرب فلسطين، ومثل: فساد الحكومات المحلية... وغير ذلك مما يهدد بإشعال لهيب الاضطرابات والثورات وقلب

الأوضاع في المنطقة، ومن ثم كان اللجوء إلى أسلوبين جديرين بإمعان النظر:

الأسلوب الأول: تسليم السلطة في هذه البلاد إلى زعامات تم انتقاؤها من بين الزعامات التي قادت الحركة الوطنية الاستقلالية؛ لتبدأ عهد الاستقلال بتشكيل حكومات تعتمد على:

١ ـ سياسة الحزب الواحد المسيطر والمهيمن على الأوضاع الداخلية.

٢ ـ الزعامة المتمثلة في شخص واحد منفرد بالنفوذ والسلطان تسلط عليه الأضواء ويجمع مقاليد السلطة كافة في يديه، ويعتمد على أجهزة الأمن المتعددة لفرض وجوده وسلطانه.

٣ ـ اعتماد الاشتراكية أو الماركسية الفكر والمعتقد النظرية والتجربة التي تقود إلى رخاء، وتؤكد الاستقلال السياسي والاقتصادي وتتصدَّى لقوى التآمر والتخلّف.

أمَّا الأسلوب الثاني: فهو اللجوء إلى الانقلابات العسكرية التي بدأت بانقلاب حسني الزعيم في سوريا سنة ١٩٤٩م، وتلاه الانقلاب العسكري في مصر ١٩٥٢م.

وقد رفعت هذه الانقلابات الكثير من الشعارات البرَّاقة، مثل:

أ ـ الحكم الوطني المستقل مع رفض التبعية والوجود الأجنبي.

ب ـ محاربة الفساد والتأكيد على العدالة الاجتماعية وتصفية الإقطاع.

جـ إنشاء الجيش الوطني المستقل.

د ـ محاربة الفساد والمحسوبية، وتأكيد الطهارة والثورية.

إلى آخر هذه الشعارات التي صفَّق لها المواطنون في بداية الأمر، ثم امتلؤوا لها كراهية ورفضاً في نهاية الأمر بعد الممارسة والتجربة، حيث ذاقوا مرارة العيش في ظل العسكر، وترحَّموا على زمن ولَّى ومضى كانوا يعتبرونه النموذج الأوحد في الفساد والعبث.

• الفخاخ الاستعمارية للفريسة:

لقد تبيَّن بعد قيام الحكومات العسكرية، ونظم الحزب الواحد تساندها الجيوش وأجهزة الأمن، وبعد أن ذاقت الشعوب - ومازالت - على يديها أنماط الاضطهاد والقهر والمصادرة كافة، وبعد أن وصلت مستويات المعيشة إلى ما دون خط الفقر بمراحل، وبعد أن أعلنت هٰذه الحكومات الحرب الشعواء على التيار الإسلامي، واستخدمت كل أساليب وصنوف العذاب والتعذيب مع هٰذا التيار، فإنَّ أمريكا كانت وما تزال تبغي الوصول إلى تحقيق عديد من الأهداف والغايات، منها:

• إحكام القبضة حول حكومات عسكرية أو حكومات يهيمن عليها الحزب الواحد، ويتربع على قمة السلطة فيها الزعيم الأوحد، وبالتالي إحكام القبضة على الأرض والديار والشعوب.

• إحكام القبضة حول المنطقة من خلال حكومات عسكرية ترفع شعارات ورايات الوطنية والاستقلال، ورفض التبعية ومحاربة الفساد... بل وتُظْهِرُ مهاجمة واشنطن وسياساتها.

• دفع هٰذه الحكومات إلى فتح قنوات مع الاتحاد السوفييتي، ثم اللجوء إليه للحصول على القروض وإقامة المشروعات على حساب أوضاعه الاقتصادية المتأزّمة، كسبيل لإرهاقه وتبديد إمكاناته، وكوسيلة لاحتوائه، كما عبَّر عن ذلك جيمس بيكر في محاضرة له في جامعة هيوتن ١٩٩٢م.

• دفع هٰذه الحكومات إلى تبني الاشتراكية، بل والماركسية، كسبيل للتنمية المزعومة ومعالجة الأزمات، مع رفع شعارات التأميم ومصادرة الثروات ومحاربة الرجعية والثورات المضادة، وإصدار النشرات والمؤلفات التي تمجد الحلول الاشتراكية، والتحول الاشتراكي العظيم في بداية الستينيات. وكان من نتائج ذلك: أن ذاق الناس كل صنوف البطش والتنكيل، إضافة إلى اتساع رقعة الأزمات وامتداد جذورها، الأمر الذي أدَّى إلى كراهية كل ما يتعلق بالاشتراكية والماركسية فكرياً

وتطبيقياً، من خلال واقع مرير عاشته الشعوب وتجرَّعت كؤوسه، ويعني هٰذا: مقاومة المد الشيوعي المذهبي من خلال رفضه شعبياً، وقد صاحب هٰذا مواجهة وملاحقة للأحزاب الماركسية المحلية، مع الحيلولة دون تسلل الفكر الماركسي إلىٰ أجهزة الأمن أو قوىٰ الجيش.

• دفع هٰذه الحكومات إلىٰ مواجهة قاسية؛ لتصفية التيار الإسلامي الذي اتسعت رقعته، وتضاعف حجمه، واكتسب تأييداً واسعاً علىٰ الساحة الشعبية، فكان ضرب الحركات الإسلامية في مصر عام ١٩٤٨م، ثم العودة إلىٰ ضربهم عام ١٩٥٤م من خلال مواجهة أوسع وأشمل، واعتقالات شملت القيادات والكوادر، ومنعت أشكال نشاط الجماعة كافة، وجرمته، ولقد جرت هٰذه المواجهة تحت شعار ضرب الحركات الرجعية، أو ضرب الإرهاب، أو القضاء علىٰ الثورات المضادة. وأيضاً مع رفع شعار القومية العربية الذي أدَّىٰ بدوره إلىٰ ظهور العديد من النعرات المذهبية والقبلية كالبربرية في الجزائر، والكردية في العراق وسوريا، والفينيقية في الشام.

• دفع هٰذه الحكومات والنظم إلىٰ تبنِّي قيم جديدة تحت شعار التحرر والتحديث والانفكاك من قيود الرجعية، مع التهجم علىٰ الإسلام العقيدة والشريعة، بل ووصل الأمر إلىٰ التعرض لشخص الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ مع إفساح المجال للعناصر العلمانية والشيوعية التي تم احتواؤها أو انخرطت في سلك وقافلة النظم الحاكمة، بعد أن وحد بينها وبين هٰذه النظم الحاكمة هدف القضاء علىٰ الحركات الإسلامية، وقطع الطريق أمام المد الإسلامي، ولعل هناك من لا يزال يذكر بيانات ومنشورات الشيوعيين في نهاية الخمسينيات والستينيات، وهي تدعو إلىٰ تحكيم العقل والمصلحة بين محاربة النظام العسكري في مصر أو مهادنته وهو يتصدىٰ للحركة الإسلامية في مواجهة شاملة، ثم كان إعلان الانحياز إلىٰ صف النظام؛ لأنَّ النظام عرضة للانتهاء والسقوط بانتهاء عبد الناصر.

وإضافة إلى ذلك، كانت النظم العسكرية أكثر جرأة على قبول الحلول الاستعمارية والصهيونية في القضايا العربية والإسلامية والمصيرية، وإعلانها استنكار موقف النظم التقليدية التي سبقتها ورفضت تقسيم فلسطين، أو التعامل مع قرارات الهيئات الدولية بهذا الخصوص.

ويمكن القول: إنَّ السياسة الأمريكية إزاء عالمنا العربي والإسلامي، ترتكز ـ كما قال جورج بول وكيل الخارجية الأمريكية في بداية الستينات ـ على خطوط رئيسة تتمثل في:

- مواجهة الزحف الشيوعي المذهبي كفكر وأيديولوجية.
- مواجهة الزحف الشيوعي العسكري من خلال الأحلاف العسكرية، والوجود الإسرائيلي كقاعدة أو رأس حربة للغرب في المنطقة.
- حماية المصالح الأمريكية المتمثلة بشكل رئيس في البترول وحقوله.
- حماية خطوط المواصلات الأمريكية في المنطقة المتمثلة في الخليج العربي، وقناة السويس، والمضايق البحرية.
- تشجيع ودعم سياسات التطوير وتحديث وعصرنة المجتمعات بالتوجهات المناهضة للإسلام.
- دعم الكيان الصهيوني: عسكرياً، وسياسياً، واقتصادياً؛ للنهوض بدوره في المنطقة.

هذه السياسة اتخذت أكثر من شكل وأكثر من أسلوب على مدى الخمسين عاماً الماضية، أي منذ أن اضطلعت أمريكا بمسؤولية الهيمنة الاستعمارية في المنطقة بعد أن ورثتها عن بريطانيا وفرنسا مع نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى اليوم، وإن كانت الأهداف والغايات لم تتغيَّرْ.

* * *

حسابات المستعمر في الإفصاح عن الأدوار

● **فترة إخفاء الأدوار:**

على مدى الخمسينيات والستينيات، تعمَّدت الأصابع الأمريكية أن تتوارى عن الظهور على المسرح، بل وبدت النظم الحاكمة العسكرية وكأنها في حالة عداء مع واشنطن، خاصة حين كانت هناك مساحات واسعة متاحة ومباحة للهجوم على السياسة الأمريكية، وصلت إلى حد تخييرها بين الشرب من مياه البحر الأحمر أو الأبيض. ونشطت حركة دول عدم الانحياز ونهض فيها عبد الناصر بدور واضح، وكأنه تأكيد على الاستقلالية، في التوجه والقرار، وبالطبع صاحب ذلك عنف وقسوة في أسلوب التعامل مع الحركة الإسلامية، وصل إلى مستوى الإعدامات والتصفيات في منتصف الخمسينيات ومنتصف الستينيات، كما صاحبه بروز الخطوط الحمراء الممنوع تجاوزها بالنسبة للماركسيين، رغم الشعارات والأعلام الحمراء التي رفعتها النظم الحاكمة، ورغم العلاقات الوثيقة مع موسكو، ورغم الطابع اليساري أو العلماني والإلحادي الذي كاد يصبغ السياسات والتوجهات الرسمية، حتى قيل: إنَّ عبد الناصر عند تشكيل منظمة الشباب كان يردد:

«إنَّه يريد جيلاً أو أجيالاً لا تعرف التدين، ولا تقبل التحجّر».

ولعل كثيرين قد اختلطت عليهم الأمور، فصار من الصعب عليهم أن يصدقوا أنه كانت هناك ثمة رابطة بين النظم العسكرية وواشنطن في هذه الفترة من تاريخ المنطقة، وإن كان هناك أكثر من شاهد قد بدا - ولو إلى حد ما - ملموساً يشير إلى هذه الرابطة، ومن ذلك: أنه في زمن الاحتلال البريطاني كانت السفارة البريطانية وراء إسقاط الوزارات وتنصيب الوزارات، كما كانت مقراً لصياغة خطاب أو بيان الوزارات الجديدة الموجه إلى الشعب، وفيه تهاجم الاستعمار البريطاني، وتدعو إلى مواجهته، والسعي بكل السُّبل لإجلائه عن أرض الوطن.

أيضاً ذكر محمد نجيب : أنه كان هناك عناصر من المخابرات الأمريكية ، ذات صلة بعبد الناصر ، تتواجد في مدخل قيادة الثورة في الأيام الأولىٰ لحركة الجيش متخفية في لباس رجال الأعمال الساعين للمشاركة أو المساهمة في المشروعات الاقتصادية .

أيضاً وقع نتيجة للمد الشيوعي في إندونيسيا في فترة الستينيات ، انقلاب عسكري ضد أحمد سوكارنو أحد زعامات عدم الانحياز ، وواحد من زعامات الاستقلال في إندونيسيا الذين رفعوا رايات العلمانية ، وفك الارتباط بالدين ، إلَّا أنَّ الفرقة الخاصة بقيادة سوهارتو والتي كانت مكلفة بحماية ودعم النظام ، نهضت بإفشال الانقلاب ، وتأكيد مسيرة إندونيسيا علىٰ النهج الذي قاده أحمد سوكارنو والذي يعتبر أحد رموز الحكم الذين تم صقلهم أمريكياً في مرحلة السعي من أجل الاستقلال الوطني بالنسبة للدول التي كانت مستعمرة ونالت استقلالها في أعقاب الحرب الثانية .

وإضافة إلىٰ كل ذلك ، هناك العديد من المؤلفات التي ظهرت علىٰ مدىٰ الثلاثين عاماً الماضية تتحدث عن العلاقات الوثيقة بين النظم العسكرية وواشنطن في هٰذه الفترة ، ومنذ هزيمة يونيو ١٩٦٧م بدأت السياسة الأمريكية تسفر عن وجهها وبدأت آثار البصمات الأمريكية تظهر علىٰ صفحة أحداث المنطقة ، وبدأت النظم العسكرية وخاصة في مصر تسفر بالتالي عن حقيقة التوجه والمسار من خلال جفوة في العلاقات مع موسكو وتقارب مع واشنطن .

ولعل حرب ١٩٧٣م كانت بداية حلقة جديدة من حلقات السياسة الأمريكية علىٰ ساحتنا العربية والإسلامية ، إذ بدأت واشنطن اتِّباع أسلوب تسخين المشاكل حتىٰ يسهل الطرق علىٰ عناصرها ، ويسهل بالتالي تشكيلها علىٰ الطريقة أو الصيغة الأمريكية ، وكان تسخين حرب أكتوبر من خلال الثغرة ، ومن خلال الدعم الأمريكي الذي انهال علىٰ إسرائيل لترجيح الكفة وإملاء الشروط ، وكانت أيضاً

الجولات المكوكية لكيسنجر، وكانت في النهاية اتفاقية «كامب ديفيد»؛ لعزل مصر عن المسار العربي والإسلامي، ولتجريدها من مفهوم الجهاد، ومن التعامل مع القضية الفلسطينية بأسلوب الجهاد، وأيضاً لفتح أبواب التطبيع ليُطال الساحات كافة، ومنها: ساحة التربية والتعليم، وإعادة صياغة العقول والأفهام، ولعقد الاتفاقيات الأمنية والإعلان عن النوايا المشتركة في مواجهة المد الإسلامي.

البعض يرىٰ أن النظام العسكري في مصر هو الذي عدل المسار وغير التوجّه، وبدّل قبلته فجعلها في واشنطن بعد أن كانت في موسكو، إلّا أن الشواهد والدلائل تقول: إن النظام المصري قد أفصح عن حقيقة الوجهة والتوجه، وأن واشنطن قد رفعت الأستار عن وجه سياساتها إلىٰ حد كبير، فبدا الوجه الحقيقي للسياسة الأمريكية من غير قناع صريحاً واضحاً لا حاجة له للتخفي وراء ستار، ولقد استمرَّ هٰذا النمط من التعامل الأمريكي مع المنطقة ـ وخاصة مع النظام المصري ـ وحتىٰ انهيار الاتحاد السوفييتي، وبعدها بدأت فترة من الوضوح والجلاء التام بالنسبة لأساليب التعامل الأمريكي مع المنطقة، حتىٰ إنه مع القمة العربية ١٩٨٩م، والتي انعقدت في بغداد كان هناك إنذار أمريكي في صيغة رسالة موجهة للقمة بألّا يتضمن بيانها أي تهجم أو هجوم أو إساءة للسياسة الأمريكية، وبما يعني أن محاولة تجميل وجوه الأنظمة العسكرية والحاكمة في المنطقة من خلال هامش متروك لها تهاجم من خلالها واشنطن وسياستها قد تم حذفه من القاموس الأمريكي.

● الدور الصريح للاستعمار:

ومع سقوط ـ أو انهيار ـ الاتحاد السوفييتي، بدأت الحملة الأمريكية خاصة والغربية عامة علىٰ الإسلام تأخذ شكلها الصريح السافر دون غموض، وبدأت الولايات المتحدة الأمريكية تتعامل مع الإسلام والصحوة الإسلامية كعدو خطير يجب مواجهته وتصفيته أو احتواؤه، وبدأت الاتهامات الأمريكية توجه للتيار الإسلامي تحت مسمَّىٰ «الأصولية»، وتحت بند «الإرهاب»، إضافة إلىٰ بنود التحجّر

ورفض التقدّم، والإجهاز على الديمقراطية بعد استغلالها للقفز على السلطة، وإنكار أي حقوق للمرأة.

في بداية الستينيات وفي رسالة بعث بها الرئيس الأمريكي - حينئذٍ - جون كيندي إلى الملك فيصل، تناولت الانقلاب العسكري الذي تزعمه عبد الله السلال في اليمن، أشار كيندي إلى السياسة الأمريكية التي «تحبذ التحرر من النُّظم البالية، والسعي إلى الأخذ بالنظم والأساليب الحديثة، والعمل على عصرنة الحياة وأساليبها، وتطوير المجتمعات»، وكانت رسالة كيندي تعني: تأييد أمريكا للانقلاب العسكري اليمني على الإمامة التي تمثل النظم البالية، كما تؤيده كأسلوب لتحرير وتطوير المجتمع اليمني، أي بمعنى: إخراجه من إطار الإسلام أياً كان مفهومه، وأياً كان مستوى العمل والتعامل من خلاله، وإلى إطار التحديث على النمط المرغوب فيه أمريكياً.

وفي عام ١٩٨٩م دعا دان كويل نائب الرئيس الأمريكي السابق بوش إلى حفل اعتادت الجماعات اليهودية إقامته سنوياً ودعوة المسؤولين الأمريكيين لحضوره والخطابة فيه، وقد تحدَّث كثيرون في اللقاء عن المزايا والمساهمات والخدمات التي تقدمها أمريكا لإسرائيل، حتى إذا كان دور كويل الذي قال: «لقد تحدَّثتم جميعاً عن الخدمات والمزايا والمساهمات والإنجازات التي تنهض بها أمريكا لمساعدة ودعم إسرائيل، ولكن أحداً لم يشر إلى ما تقدمه إسرائيل إلى أمريكا من خدمات ومزايا، وهي كثيرة، ومنها:

١ - إنَّها قاعدة متقدمة لحماية المصالح الأمريكية في المنطقة.

٢ - دورها الهام في مواجهة المد الإسلامي في المنطقة.

٣ - الدور الهام في مواجهة المد الشيوعي المذهبي، ومواجهة الخطر الشيوعي العسكري.

٤ - إنَّها واحة الديمقراطية، وواجهة للنظام الغربي في المنطقة.

إلّا أنّ إعلان السياسة الأمريكية إزاء المنطقة عن وجهها، وبشكل أسقط الأقنعة كافة أو أشكال التخفي، جاء بعد انتهاء الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفييتي ثم حرب الخليج وكارثة الغزو العراقي للكويت، حيث أحكمت أمريكا قبضتها على المنطقة تماماً، وسارعت النظم الحاكمة التقليدية والعسكرية تقرع أبواب البيت الأبيض لطلب الدعم السياسي والمالي، وتحرص على أن تستظل بالمظلة الأمريكية في تنسيق للسياسات والتقاء على الأهداف والغايات. . . يقول «آرثر لوري» أستاذ العلاقات الدولية بجامعة «فلويدا» الأمريكية في دراسة له تحت عنوان (السياسة الخارجية الأمريكية والحملة على الإسلام):

«مع انتهاء الحرب الباردة، تغيَّرت طبيعة السياسة الخارجية الأمريكية، إذ أصبحت أمريكا القوة العظمى الوحيدة في العالم، تتدخل حيثما تشاء ووقتما تشاء وحسبما تتعرض مصالحها للخطر».

- **التصريح بالعداء للإسلام ومحاربته:**

- وقد حدثت نقلة نوعية في التعامل الأمريكي مع المسلمين، فقد كانت الأنظمة الحاكمة في العالم الإسلامي بطبيعتها، تعادي الشيوعية، وكان المسلمون يرفضونها، فاستغلت أمريكا ذلك لمحاربة الاتحاد السوفييتي في أفغانستان حيث أنفقت ٣ مليارات دولار لهزيمة موسكو.
- بعد الحرب الباردة صوَّر الإعلام الأمريكي الإسلام على أنه متطرف، وغير ديمقراطي، ومعاد للغرب.
- كما صار الإسلام مداناً إذا ارتكب أي مسلم عمل عنف، وذلك في المفهوم الغربي والأمريكي.
- وبمجرد تلاشي الحرب الباردة، انبرى الذين كانوا فرسان الكتابة أيام هذه الحرب للهجوم على الإسلام، ومن هؤلاء «صمويل هنتجتون» صاحب المقال الشهير «صراع الحضارات» والذي أكد على أن الصراع القادم هو صراع

الحضارات بين أمريكا والقوى التي تمثل حضارات ذات شأن، ومنها الإسلام، كما أكَّد على ضرورة التفوق الأمريكي في شرق وجنوب غرب آسيا (حيث يتركز المسلمون).

● **سُعَار التحريض على الإسلام:**

■ هناك رؤساء وقادة وزعماء يشعرون في بلادهم أنهم مهددون من قبل شعبية الحركة الإسلامية، في مصر، والجزائر، وتونس، بل وفي إسرائيل.

■ وأن النظام الجزائري الحاكم يواجه أكبر التهديدات وأعمقها مع إلغاء الانتخابات التشريعية ١٩٩٢م، وهي أول انتخابات حرَّة في الجزائر للحيلولة بين الإسلاميين والسلطة، وقد تقبَّل الغرب ذلك بصمت، بل بتشجيع!

■ وأن الخوف المشترك من الحركات الإسلامية، دفع إلى إيجاد نوع من التعاون الأمني غير المسبوق بين هذه الدول العربية حيث اجتمع ١٨ وزير داخلية في يناير ١٩٩٦م بدعوة من مصر وتأييد من الجزائر وتونس والسعودية، واتفقوا على مدونة لمقاومة «الإرهاب».

ويتناول الكاتب (آرثر لوري) أمثلة لطرح عدد من المفكرين والكتَّاب الأمريكيين لقضية العداء والخطر الإسلاميين بالنسبة لأمريكا، فيقول: «إنَّ (مورتمر زاكرمان) رئيس تحرير مجلة الأخبار الأمريكية والنشرة العالمية، يتبنَّى فكرة أنَّ التطرف الإسلامي المسلَّح على وشك أن يحل محل الشيوعية كعدو لأمريكا والغرب، كما أن القيم التي يحتويها تناهض الأساس الذي تقوم عليه الديمقراطية الغربية.

■ أمَّا «فرجاس بور دويتش» فيقول: إنَّ الأصولية الإسلامية متمثلة في حرب الجزائر أثبتت خطرها، ويعتمد على رأي «روبرت ساتلون» الذي يشغل منصب المدير التنفيذي لمعهد واشنطن بـ «فيلادفيا». ويقول: الأصوليون ليسوا بأي حال مسلمين تقليديين عاديين، والمتطرفون ليسوا مجرد مجرمين، ولكنهم عقديون متحمسون، وعندما يحسون بأنهم مقبولون وشركاء في العملية السياسية، فسوف

يفصلون بين الجناح السياسي والجناح العسكري لديهم، ويستطيعون بذلك استنكار أعمال العنف التي تقوم بها فصائلهم السرية.

■ ويقول «عاموس بيرلوتر» أستاذ العلوم السياسية ومحرر مجلة الدراسات الاستراتيجية في كتاب له ١٩٩٥م: لقد تمثل مرحلة ما بعد الحرب الباردة نظاماً عالمياً جديداً، وإن الأيديولوجية الفاشية النازية التي سادت في الثلاثينيات لها ما يوازيها الآن في الأصولية الإسلامية، فهي حركة شمولية معادية للغرب وتأمَل أن تلقن الصليبيين الجدد دروساً لا تُنْسَىٰ، وليست مصادفة أن تكون مناطق الأزمات الدائمة والمشتعلة وبؤر التوتر في العالم هي نفسها مناطق الأصوليين دعاة الوحدة والخلافة الإسلامية، والغرب لن يسمح باستبدال شمولية بأخرىٰ.

■ و«ستيفن أيمرسون» له برنامج تليفزيوني تحت عنوان: «الجهاد في أمريكا»، وقد ركَّز علىٰ حادثة تفجير المركز العالمي للتجارة، وقال: إنَّه رغم أن المتطرفين الإسلاميين ليسوا إلَّا أقلية ضمن غالبية المسلمين، إلَّا أن الجماعات الإسلامية المعتدلة لها علاقة بجماعات العنف.

ويركز «أيمرسون» في برنامجه علىٰ فكرتين أساسيتين:

١ ـ أن هناك تنظيماً عالمياً إسلامياً يوجه حملة إرهاب ضد الغرب.

٢ ـ أن هناك شبكة من الخلايا الإرهابية المسلمة تنتشر في أمريكا منبثقة من هٰذا التنظيم مرتبطة به.

■ وفي مقالة مطولة، كرر «أيمرسون» في ١٢ يونيو ١٩٩٥م نفس الأفكار، مركزاً علىٰ أن الجماعات المتطرفة، أنشأت بنية وهياكل سياسية ومالية ـ وبعض الأحيان هياكل علمية ـ في الولايات المتحدة الأمريكية، بل إن «أيمرسون» كان مصمماً حين حدث حادث تفجير «أوكلاهوما» علىٰ أن الذي قام بالتفجير هم إسلاميون؛ لأنَّ أمريكا لا تعرف هٰذا النوع من التفجير قبل ظهور الإرهاب الإسلامي، وأن بعض الجماعات الإسلامية تحرك هٰذه الأحداث ويجب الزج بها

في السجون ومعتقلات التعذيب.

■ وفي مجلة «نيويورك تايمز» كتب «ليزبي جيليب» معبراً عن تعاطفه مع آراء الإسرائيليين في الحركات الإسلامية، وقال: إنَّ الإسلام لا يعترف بالتعايش كمبدأ، فالتعايش يتنافى مع مفهوم الإسلام للنظام العالمي.

كما أنَّ هناك كُتَّاباً أمريكيين يعتمدون على الحكومات الشرق أوسطية يقولون: إنَّ إيران والسودان متهمان بالإرهاب، وفي ذلك كتب «ستيفن هولمز» في الواشنطن بوست عن كيفية تحوّل علاقات القوى كنتيجة للأصولية في الشرق الأوسط حيث صارت هناك معسكرات للتدريب تقوم بها إيران في السودان، أيضاً هناك صحفيون عديدون يتبنون الرؤية الأمريكية الرسمية التي تقول: إنَّ الدول العاصية أو الشاذة تُصَدِّرُ التطرف!

● **حرب باردة مخططة ضد الإسلام ورجاله:**

وقد كتبت «جوديت ميان» في «الفورن أفيرز» تقول: إنَّ كل الإسلاميين أنصار للعنف، يعارضون الديمقراطية والتعددية، وكلهم سيظلون معادين للغرب ولأمريكا ولإسرائيل، وإنَّ فكرة الدولة الإسلامية كما يعتنقها مؤيدوها لا تنسجم مع القيم والحقائق التي يعتبرها الأمريكان والغربيون حقائق مسلَّمة، وأن أي حوار مع تلك القوى الإسلامية يعتبر مضيعة للوقت. ومن أبرز دور الفكر التي ساهمت في إذكاء المقولات عن خطر الإسلام ـ دار الميراث المحافظ في واشنطن والتي نوقش فيها في ٢١/ ٦/ ١٩٩٤م موضوع الخطر الإسلامي على شمال أفريقيا، وقد اقترح «دانيل بابيس» الذي شارك في الحوار، والذي يرفض الحوار مع الأصوليين المعتدلين أو المتطرفين أربعة نصائح للسياسة الأمريكية لمقاومة الخطر الأحمر الجديد، حسب تعبيره:

١ ـ مواجهة الأصولية.

٢ ـ الضغوط على إيران والسودان.

٣ ـ مساندة المسلمين العاديين الذين يتصدون للأصوليين .

٤ ـ مساندة الحكومات التي تتصدّىٰ للأصولية في المنطقة ، مثل حكومة الجزائر .

وشبَّه «بابيس» الصراع مع الأصولية بـ «الحرب الباردة» ، وقال : إنَّ اليمين الأمريكي الذي كسب الحرب الباردة بوقوفه في وجه الاتحاد السوفييتي ، يستطيع أن يقوم بنفس الدور بالنسبة للإسلام .

إنَّ الحملة الضارية والعامة للحكومة الأمريكية ضد الإسلام ـ إضافة إلىٰ التصريحات الأمريكية المسؤولة ، التي تهزأ من فكرة أن هناك إسلاماً موحداً يواجه الغرب ـ تؤكد أن أمريكا ستعارض أي حركة إسلامية تحاول الوصول إلىٰ السلطة ، حتىٰ ولو كان ذلك عن طريق صندوق الاقتراع ، ويعبّر عن ذلك «إدوارد جبر جيان» مساعد وزير الخارجية الأمريكي في قوله : «نحن لا نساند شخصاً واحداً صوتاً واحداً توقيتاً واحداً» . وهو يعني بذلك : «الحركة الإسلامية التي لا تؤمن بالتعددية حسب قوله» .

«إنَّ الحكومة الأمريكية تساند بشكل تام حكومات مصر وتونس في حربها ضد الحركات الإسلامية ، وتتغاضىٰ عن حقوق الإنسان ، تبدو وكأنها تلعب دوراً هامشياً في الجزائر ، وإن كانت قد وافقت في صمت علىٰ إلغاء الانتخابات» .

وبجوار ذلك ، هناك جانب دعائي تقوم به الحكومة الأمريكية ، وذلك حين يعلن «كلينتون» علىٰ سبيل المثال : أنه رغم وجود مشاكل مع الإرهاب إلَّا أنها (أي مشاكل) لا تمتد ولا ترتبط بالإسلام كدين أو ثقافة ، قال ذلك في جاكرتا ، وحين زار الأردن أعلن : «أنَّنا نرفض أن حضارتنا لا بد وأن ترتطم بالإسلام ، إنَّنا نحترم الإسلام» .

وقد دُعِيَ «الغنوشي» للمشاركة في حوار نظمته جامعة جنوب فلوريدا

بالاشتراك مع شركة الدراسات الإسلامية والعالمية، إلا أنَّه حين تقدَّم بطلب تأشيرة لدخول أمريكا، رفضت السلطات الأمريكية، وقد ظهرت صحيفة «فورد ورد» وفيها مقال للكاتبة «لوست لاجنادو»، وتحت عناوين ضخمة، وفي الصفحة الأولىٰ حيث قالت: الشيخ الإرهابي وآية الله المستقبل، يطلب دخول أمريكا، إنه «الغنوشي» الذي دعا إلىٰ العنف ضد أمريكا، وحاول إفساد مسيرة السلام في الشرق الأوسط.

كما كتب «دانييل بابيس» يقول: إنَّ الغنوشي حضر مؤتمرات في السودان وإيران مع كُتَّاب متطرفين، وقد صور «بابيس» هٰذه المؤتمرات علىٰ أنها اجتماع عالمي إسلامي، حيث يتفق الزعماء فيه علىٰ المقت الشديد لأمريكا والغرب وإسرائيل.

وعلىٰ الصعيد العالمي تظهر أمريكا عداوتها للإسلام، وتخشىٰ حكومات إسرائيل والجزائر ومصر وتونس وحكومات أخرىٰ في المنطقة صعود حركات الصحوة الإسلامية إلىٰ السلطة، وهٰذه الحكومات تحرص علىٰ الصداقة مع أمريكا، ويقول أحد سفراء أمريكا في المنطقة: إنَّنا يجب أن نتغاضىٰ عن الممارسات العنيفة لحكومة مصر ضد المصريين في الصعيد؛ لأنَّ هٰذه هي الطريقة الوحيدة للتعامل مع المتعصبين.

أمَّا «آرثر لوري» وهو واحد من الكُتَّاب والمفكرين الأمريكيين الذين يلتزمون المطق العلمي في التحايل والمعالجة ودونما تحيّز إلَّا للحقيقة، ومن ثم فهو يعري أهداف وغايات وتوجّهات وأساليب السياسة الأمريكية في تعاملها مع الإسلام والمسلمين، وبالذات مع الحركة الإسلامية.

وأيضاً يقول «جيمس بيل»، أحد الكُتَّاب الأمريكيين: «إنَّ الوضع خطير حين يجد المسلمون أنفسهم ملقبين بالإرهابيين، وعندما تشجع الحكومات الغربية حكومات المسلمين العلمانية في الشرق الأوسط علىٰ مواجهة الحركات الإسلامية بالعنف».

كما يقول الصحفي الأيرلندي «فاليه تمول»: «في ذروة الحرب الباردة كان الغرب يحاول بحيوية فهم النظام الشيوعي والفكر الماركسي، ولكن تلك الجهود لا تبذل الآن مع الإسلام، وبغير حوار لا يمكن أن يكون هناك بديل غير المواجهة».

* * *

الفصل الثاني
الكيان الصهيوني
وعداء عميق للحركات الإسلامية

سجَّل القرآن الكريم ـ كما صور أدق تصوير ـ الحقد والعداء والكيد اليهودي للإسلام والمسلمين في أكثر من موضع وأكثر من مناسبة.

كما أنَّ تاريخ الدولة الإسلامية، حافلٌ بصور التآمر اليهودي ضدها، مثلما هو حافل بشتَّىٰ أنماط الكيد لها وتحريض الأعداء عليها، لتقويض دعائمها، وهدم كيانها، ومن ثم فعداء اليهود لجماعات المسلمين، ممتد الجذور علي نحو ما سبق بيانه في هٰذه الدراسة، متصل بخلفية تاريخية وحضارية، كما أنَّه وليد تجربة في المواجهة استشعر اليهود من خلالها مدىٰ خطر التيار الإسلامي ومدىٰ فاعليته حين يرتكز علىٰ الإيمان الصحيح، ويأخذ بالأسباب بقدر ما يملك ويستطيع، ويصدر عن فهم للإسلام غير منقوص، وخلوص في النِّيّات لا تخدشه شائبة، ونحسب أن اليهود قد لمسوا ذلك في معارك فلسطين بشكل وبصورة دفعتهم وتدفعهم لتلمّس الأسباب والسُّبل كافة، وحشد الإمكانات والطاقات كافة، والتحالف مع الجهات المعادية للإسلام كافة، للقضاء علىٰ التيار الإسلامي، كسبيل لوضع الأسوار والحواجز حول الإسلام العقيدة التي تحرك وتوجه، والمفاهيم التي تهدي وترشد.

- **البحوث اليهودية وتجنيد القوى لمحاربة الإسلام وحركاته:**

وقد حظي الإسلام والتيار الإسلامي بالنصيب الأكبر من الاهتمام اليهودي في مجال الأبحاث والدراسات ورسم الخطط للمواجهة والتصفية.

في أعدادها الصادرة في أبريل ١٩٩٦م ـ كشفت صحيفة العربي عن مدىٰ الإمكانات والجهود التي يبذلها المركز الثقافي الصهيوني في القاهرة ـ كمثال ـ لتجنيد العديد من الباحثين في شتَّىٰ محافظات مصر، وشتَّىٰ الدول العربية، للقيام بإعداد بحوث عن التيار الإسلامي، تتضمن أدق التفاصيل المتعلقة بالحجم والوزن والمفاهيم

والتشكيلات والأفكار والقيادات والكوادر، نظير مكافآت ضخمة. ومن المعروف أن المركز قد نصت على وجوده وافتتاحه ومزاولته لنشاطه اتفاقيات كامب ديفيد.

وتكاد تنتشر مراكز البحث المتخصصة في دراسة الجماعات الإسلامية على الساحة العربية والإسلامية في مختلف جامعات الكيان الصهيوني الغاصب، كما لم يدخر الكيان الصهيوني جهداً في الوصول إلى تنسيق العمل الأمني والمعلوماتي بينه وبين الحكومات العربية ـ أو أغلبها ـ فما يتعلق بمواجهة الجماعات الإسلامية وسُبل ضربها أو احتوائها وتفريقها، وبخاصة الفاعلة منها.

والدور الذي تنهض به سلطة الحكم الذاتي الفلسطيني اليوم، ووفقاً لاتفاقيات «أوسلو» مثال من أمثلة الدهاء والمكر الصهيون في تجنيد القوى كافة، تحت مختلف الشعارات ومن خلال عديد من الاتفاقيات، وعبر عديد من أشكال الضغط والاحتواء والإغراء؛ لضرب العمل الإسلامي واجتثاث المفاهيم الإسلامية.

وقد جاءت الاتفاقيات التي عقدها الكيان الصهيوني مع الحكومات العربية، وركَّزت على التطبيع وفتح الحدود سبيلاً لصولات وجولات قام بها العديد من الباحثين اليهود في أرجاء مصر، وأرجاء بلاد عربية كثيرة؛ وصولاً لجمع أكبر قسط من المعلومات والحقائق عن التيار الإسلامي، وفي نفس الوقت لتحريض ودفع الحكومات لضربه وتفريقه.

● تحريض المثقفين والاهتمام بهم:

تحت عنوان «موقف المثقفين المصريين في التصدي لظاهرة الأصولية في الفترة من ٧٣ إلى ١٩٩٣م»، صدر الكتاب الذي ألَّفه الباحث اليهودي «ديفد سايف» قال في مقدمته: «إنَّ الأصولية والأصوليين يمثلون أحدث هموم مصر في العشرين سنة الأخيرة». والكتاب بالإنجليزية، وهو موجه للرأي العام الأوروبي، وقبل ذلك بالطبع للانتفاع الإسرائيلي.

والمؤلف من مواليد البصرة في العراق، هاجر لإسرائيل ١٩٥١م ومارس أعمالاً مرموقة حتى وصل إلى منصب المستشار الثقافي لسفارة الكيان الصهيوني الغاصب

في مصر في عام ١٩٨٦م، ومكث حتىٰ عام ١٩٨٨م ثم عين باحثاً في معهد «هاري ترومان لدفع السلام»، التابع للجامعة العبرية، أي أن الإمكانات متوافرة تحت يديه، ومن خلال مناصبه للحصول علىٰ الكثير وتقديم الكثير.

والكتاب يهتم بالتطرف الديني في مصر، والتيارات الإسلامية، ويركز علىٰ موقف المثقفين المصريين، وإلىٰ أي حد يقبلون أو يرفضون مسألة العودة إلىٰ الإسلام الصحيح، وإحيائه من جديد كما كان في زمن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وقد تعرَّض لقضية الشريعة وتطبيقها، والاجتهاد البشري، ومدىٰ صحته وخطئه، والموقف من العلم، والموقف من إسرائيل والجهاد والحرب، ووضع وموقف المسلمين في الدول الإسلامية. كما ركَّز علىٰ تحليل الاتجاهات لدىٰ المثقفين من خلال عينات اختارها من بين الذين يقدرون علىٰ توجيه الرأي العام المصري، ومن خلال الكتب والمؤلفات، وقد اعتمدت العينة علىٰ ناصريين وليبراليين وممثلين للتيار الإسلامي، وأدباء، وأساتذة جامعيين، وقُضاة، وصحفيين، كما بحث ودرس كتب طارق البشري، وهويدي، وكمال أبو المجد، وأيضاً كتب فرج فودة.

وجاء الكتاب في أربعة فصول: الأصولية وإحياء السلام، الأصولية بمعنىٰ: الرجوع إلىٰ أصول الإسلام وإحيائها وبعثها كسبيل لبعث المسلمين وخلاصهم وحل مشاكلهم ونهوضهم وتقدمهم، وجذور الأصولية: من ابن تيمية إلىٰ الإخوان المسلمين، ومن الليبرالية إلىٰ إحياء الدين والإخوان المسلمين، ومن سيد قطب إلىٰ المنظمات الإسلامية المقاتلة، وقال من بين ما قال: «إنَّ شعارات الأصولية الإسلامية والسلفية والبعث الإسلامي، والبديل الإسلامي، جميعها جديرة بإلهاب عواطف المسلمين عامة وفي مصر خاصة، وهي تؤجج الحنين في الصدور إلىٰ الماضي وفتوحاته ومواجهة المحنة، والالتزام بالإسلام شريعة الله ومنهجه للحياة، وإنَّ المسلمين عند أي محنة أو أزمة يسارعون إلىٰ الإسلام ويلوذون بالعقيدة».

ويرىٰ الكاتب: أن مصر قد سادتها مع بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر أربعة تيارات: التيار الغربي الذي أخذ بفكرة تأسيس حضارة علىٰ النموذج والأسلوب الغربي. التيار الديني الأصولي، التيار الوطني الذي لا يقر الوحدة علىٰ

أساس ديني ـ التيار القومي العربي الذي ضم إلى جانب المسلمين عدداً من المسيحيين. أمَّا في النصف الأول من القرن الراهن (العشرين)، فقد شهدت مصر انحيازاً للغرب مع مشاركة من المثقفين المصريين في تحديث المشروع المصري على النمط الغربي، وبزغت حركة التنوير، ومعها برزت حركة ترجمة الأدب الغربي، وظهرت الدعوة إلى تحرير المرأة، ثم في مواجهة هذه الموجة الكاسحة ظهرت جماعة «الإخوان» ١٩٢٨م، أسسها حسن البنا، وقد حملت لواء الدعوة إلى التخلي عن التحديث على الطريقة الغربية والنظر إلى الغرب عامة على أنه سبب الفساد والخراب، وقد شنت حملات ضد تحرير المرأة.

وقد سرد المؤلف تاريخ الجماعة في نضالها لإعادة السلفية ومعادات الغرب، كما ذكر أن الجماعة دمجت المشروع الديني والسياسي في قالب واحد، وفي خمس نقاط رئيسة:

١ ـ شمولية الإسلام: (دين، دولة، صلاة، جهاد، صناعة، حكمة، كتاب، سيف).

٢ ـ العودة إلى مفاهيم الإسلام وتعاليمه.

٣ ـ أممية الإسلام.

٤ ـ الخلافة والخليفة رمز الوحدة.

٥ ـ إقامة دولة وتشكيل حكومة إسلامية.

وقد شكَّلت الجماعة جناحها العسكري، وبدأ تاريخ العنف باغتيال النقراشي والخازندار ومحاولة قتل عبد الناصر، وبدأ يبزغ سيد قطب كمفكر من خلال معالم في الطريق، ليعلن أن العالم يعيش في جاهلية، وأن التغيير لا يكون إلَّا من خلال القوة، كما أن الأرض لن تتحرر إلَّا بالجهاد، ومن جذور ذلك نبتت جماعات العنف المسلح التي تعد نفسها طليعة الثورة الأصولية.

وقد ناقش الباحث الإسرائيلي القضية من خلال مؤلفات وكتب عديدة من أهل الفكر المصريين الذين يقولون ـ على حد قول المؤلف ـ: إن كثيرين لا يحبذون وجود شيخ على رأس الدولة، وأن نظام الخليفة والخلافة ـ من وجهة نظرهم ـ قد فقد

مبرراته، كما أنه لم يعد ممكناً التسليم بحكم دكتاتوري يتسلَّط فيه الفرد، وأن الحل الوحيد يكمن في طريق الديمقراطية، التي هي غير الشورىٰ عند الأصوليين، كما أن هـٰؤلاء الكُتَّاب، يرون أن شعار «الإسلام هو الحل»، إنَّما هو شعار من غير مضمون.

والملاحظ أن الكتابات والدراسات اليهودية حول الحركة الإسلامية، تلتقي مع الدراسات والكتابات الأمريكية حول هـٰذه الحركة في خطوط وبشكل يؤكد علىٰ التوافق والاتصال والتنسيق، فالجماعات الإسلامية كلها قد وُضِعَت في قالب واحد، وَوُصِفَت جميعها بالتطرف والعنف، ووقفت جميعها من الغرب (الحضارة والفكر والسياسة والتوجّه) موقفاً واحداً هو موقف الرفض والعداء والتكفير، كما أنها وقفت من مجتمعاتها ونظم حكمها نفس الموقف، وأيضاً فهـٰذه الجماعات قد وزعت الأدوار والتقت علىٰ الأهداف والسياسات، وإن استنكر فريق منهم العنف والإرهاب، بل إنه من اللافت أنَّ ما يطرح علىٰ الساحات المحلية العربية والإسلامية من اتهامات للحركة الإسلامية بجماعاتها وفصائلها كافة، يلتقي مع ما يُطرح علىٰ الساحة الأمريكية والساحة اليهودية من اتهامات.

- **مسيحي عربي يدافع عن الحركات الإسلامية:**

د. إدوارد سعيد ـ أستاذ الأدب الإنجليزي في الجامعات الأمريكية ـ الفلسطيني الأصل، المسيحي المتحرر، تناول ويتناول الموقفين الأمريكي واليهودي من الحركات الإسلامية في عديد من دراساته ومقالاته، وفي مقال حدث له نشرته جريدة الحياة عام ١٩٩٦م تحت عنوان «إعلان الحرب علىٰ الإرهاب الإسلامي»، يقول:

- «إنَّ هناك جيوشاً غربية في بلاد العرب، وليس للعرب جيوش في بلاد الغرب».

- وأن أمريكا وإسرائيل، تصرَّان علىٰ أن الإسلام الأصولي، يتلازم تماماً مع العداء لعملية السلام، وأيضاً مع معاداة المصالح الغربية والديمقراطية والحضارة الغربية.

• وأنَّ هناك تواطؤاً فاعلاً بين إسرائيل وأمريكا على أصعدة التخطيط والتنظير.

• وأن المطلوب هو الخضوع التام لأمريكا وإسرائيل، وأن العرب والمسلمين لن يصبحوا أُناساً طبيعيين - في نظر أمريكا وإسرائيل - إلَّا حين ينصاعون تماماً، ويتكلَّمُون لغة أمريكا وإسرائيل.

• وأنَّه في عام ١٩٩١م كتبت صحيفة واشنطن بوست أنباء عن دراسة مستمرة تعدها وزارة الدفاع الأمريكية والمخابرات عند الحاجة إلى العثور على عدو جديد، وكان الإسلام هو المرشّح، ومن ثم فالعديد من الندوات والكتابات تدور حول الإسلام.

• وقد قاد المؤرخ «برنارد لويس» الحملة علمياً، أمَّا تلاميذه فأغلبهم من اليهود، أمَّا على صعيد الصحافة فتقود الحملة «جوديث ميلر».

• أمَّا مشروع الأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم عن الأصولية، فيتمثَّل الإسلام فيه وكأنه المرشح المفضل لموقع «البعبع» مع ربط وسائل الإعلام - بين الإسلام والإرهاب والأصولية.

• وإنَّ أسوأ ما في الأمر، أن إسرائيل وأمريكا تخاطران بتحويل الحكومات العربية إلى حكومات متواطئة تعمل ضد مواطنيها، وإنَّني متأكد أن هذا يتم فعلاً؛ كي لا يكون أمامنا خيار سوى دخول الحظيرة الأمريكية، وأن عملية السلام الآن تقدم لنا النتائج».

إنَّها حملة منظَّمة، تنبثق عن تخطيط، يشارك فيه أكثر من طرف على الساحة المحلية وعلى الساحات الإقليمة والعالمية، وإن كانت قد ازدادت وتضاعفت حدة وسفوراً؛ لاتساع رقعة الصحوة، وازدياد حجم ووزن التيار الإسلامي، الأمر الذي يثير قلق الخصوم، إضافة إلى سعيهم المحموم لتحقيق الغايات المرحلية، والغايات النهائية التي تهدف إليها السياسة الأمريكية، والسياسة اليهودية.

• **أثر بسم الله وعودة المجاهد:**

في عام ١٩٧٩م وفي عددها الصادر في ١٦ أبريل، كان موضوع الغلاف لمجلة «تايم» الأمريكية مؤذن يدعو الناس إلى الصلاة، وجاء الموضوع تحت عنوان: «عودة المجاهد»، وقد تناول المقال ظاهرة انتشار الإسلام، والتحذير من هذه الظاهرة في أكثر من قُطْر ومنطقة، وأنها تمثل روح التعصب والعودة إلى همجية القرون الوسطى، حيث قالت المجلة: إنَّ الشعب المصري قد عاد من جديد إلى التلفظ بكلمات إسلامية، مثل: إن شاء الله، بسم الله، الحمد لله، وعندما يأكل أو يركب السيارة... إنَّها ظاهرة لا تقودها إلَّا الشعوب، وفي الجزائر نجد الصبي البالغ من العمر ١٤ سنة على اتصال دائم ولخمس مرات بجماعة تشرف على المساجد، وفي تونس ترى الطلاب يشنون حرباً على الشرِّ والرذيلة؛ وذلك بطلاء الصور العارية على الجدران وكتابة آيات القرآن، وفي مصر مئات من الطالبات الجامعيات يتحجبن ويطالبن بعدم الاختلاط، حتى في إسرائيل هناك إقبال على الإسلام من قِبَل الشباب.

ويقول «رافي إسرائيلي» - وهو محاضر في الدراسات الإسلامية في الجامعة العبرية في القدس -: «إنَّ هناك اتجاهاً جديداً عند الشباب المسلم نحو الإسلام مضيء بالبهجة والسرور، لقد أصبح الإسلام قضية هذا القرن».

ويقول «مارفن رونيس» - الخبير اليهودي في جامعة شيكاغو -: «الإسلام يتعمل كوسيلة مدرعة لرد الضربة الثانية على الغرب، فقد بدأ المسلمون يحسون أن الغرب كان متحكماً فيهم خلال المائة والخمسين سنة الأخيرة».

وفي عدد آخر من «تايم» في نهاية السبعينيات (١٩٧٩م)، قال مراسل المجلة في القدس - وهو يهودي اسمه «دافيد إيكمان»:

• يُلاحظ الزائر لجامعة بير زيت في الضفة الغربية المحتلة، العديد من اللوحات والملصقات والبيانات التي تبدأ بعبارة «بسم الله، من هنا نبدأ».

• وتختتم المجلة تحقيقها قائلة: يبدو أن السلطات الإسرائيلية في سنة (١٩٧٩م) تدرك مدىٰ معارضة الجماعات الإسلامية للاحتلال الإسرائيلي، وأنها ستجعل هٰذا الاحتلال علىٰ المدىٰ البعيد مهمة صعبة».

ولعلَّ هٰذا يفسِّر أبعاد السياسة الإسرائيلية التي خططت ورسمت لاتفاقيات أوسلو، ونهوض سلطة الحكم الذاتي بمهمة مواجهة وتصفية التواجد الإسلامي في الضفة وغزة.

• وقد أضافت المجلة: أن مسؤولاً إسرائيلياً قال لها: إنَّ هٰذه الجماعات إذا تطورت ونمت، فإنَّها ستكون ناراً علينا».

• غسيل المخ للعرب شيء حتمي:

وقد أجرت الإذاعة الإسرائيلية حواراً مع البروفيسور اليهودي «رون نادلر» تحت عنوان الإسلام، واليهود وإسرائيل، قال فيه:

«إنَّ المسلمين لا يمكن أن يقبلوا بسيطرة اليهود علىٰ المنطقة إلَّا إذا تعرَّضُوا لعملية إعادة تعليم (غسيل مخ) شاملة تغير عقائدهم الراسخة، وتمحو من تراثهم وسلوكهم ومن كتبهم المدرسية وتفكيرهم كل الأفكار المعادية لليهود، إنَّ حكومة إسرائيل سوف تصرّ علىٰ أن تكون إعادة التعليم منصوص عليها في معاهدة سلام سواء بشكل سري أو علني ـ توقع مع أي دولة عربية، ويكون التباطؤ العربي في عملية إعادة التعليم (غسيل المخ) بمثابة خرق للاتفاقيات، يخول لإسرائيل حق التدخل المباشر لفرضها علىٰ الأجهزة الإعلامية والإدارية والتعليمية في أي دولة عربية».

وقد أجرىٰ التليفزيون الإسرائيلي مقابلة مع الرائد سعد حداد قائد جنوب لبنان السابق، الموالي لإسرائيل، واعتبرت جريدة يديعوت أحرونوت ما جاء فيها من أقوال وأفكار أمراً يمكن أن يثير المسلمين في لبنان، فعلَّقت علىٰ المقابلة بقولها: «إنَّها تصرف طائش من وسائل الإعلام الإسرائيلية وخاصة التليفزيون؛ لأنَّه قد يسبب من خلال ما دار فيه ردود فعل عنيفة عند المسلمين في لبنان وكل العرب، بحيث يحرك

فيهم الروح الإسلامية، وهو أمر ظلَّت إسرائيل وأصدقاؤها يحاولون كبته والقضاء عليه طوال الثلاثين سنة الماضية».

ثم أضافت الجريدة: «وإذا نجحنا بجهودنا نحن وأصدقاؤنا في إبعاد الإسلام عن معركتنا مع العرب، ويجب أن يبقى الإسلام بعيداً عن المعركة ـ نكون قد حققنا هدفنا، ولذا فيجب علينا ألَّا نغفل لحظة واحدة عن تنفيذ خطتنا في منع يقظة الروح الإسلامية بأي شكل وأي أسلوب، ولو اقتضى الأمر الاستعانة بأصدقائنا لاستعمال العنف في إخماد أي بادرة ليقظة الروح الإسلامية».

هذه المقابلة التليفزيونية، وتعليق جريدة يديعوت أحرونوت عليها، قد جريا في نهاية السبعينيات.

في حين أن السياسة الإسرائيلية تعتمد على التربية الدينية اليهودية في المدارس ومراحل التعليم بحيث يحصل الطالب في المرحلة الثانوية على ٣٦٠ حصة تربية دينية في السنة الدراسية يقابلها عدد مماثل من حصص التربية العسكرية، أمَّا تلميذ المرحلة الإعدادية فيقوم بدراسة الدين اليهودي على مدى ٢٤٢ حصة على مدار السنة الدراسية.

● هل رحيل المسلمين لا بد منه؟

ولعل «بن غوريون» قد عبَّر عن غايات السياسة اليهودية حين قال:

«لا تُتعبوا أنفسكم بالبحث عن حل، فليس هناك حل؛ لأنَّ الأرض واحدة والمطالبون بالأرض اثنان، ولا بد أن تكون الأرض لواحد منهما فقط، ولا بد أن يكون الشعب الإسرائيلي هو ذلك الواحد الذي يحصل على الأرض ويملكها، والحل الوحيد بالنسبة لنا: أن نسعى ـ بكل الوسائل بما فيها القوة والسياسة والخديعة ـ لكي نجعل الطرف الآخر يرضى بالتنازل عنها».

ولقد تعرَّض «آرثر لوري» ـ أستاذ العلاقات الدولية في جامعة جنوب «فلوريدا» ـ للسياسة اليهودية في تعاملها مع الصحوة الإسلامية، فقال: «لقد حاول الزعماء

الإسرائيليون إشراك أمريكا وأوروبا في حربهم ضد الأصولية، حيث اعتبروها الخطر الداهم بالنسبة إليهم.

وفي هٰذا يقول «حاييم بارام» ـ أحد الكُتَّاب اليهود في القدس عام ١٩٩٤م ـ: «إنَّ الإسلام هو الذي نخشاه ونحترمه في آن واحد، وخطتنا الدعائية هي إظهار وحشية المسلمين».

«وقد قام زعيم كتلة «الليكود» «نتن ياهو» بجولة حول العالم لنشر هٰذه الأفكار، ولم يعد عرفات خطراً ذا أهمية، فالمشكلة الحقيقية هي المد الإسلامي». وأنَّ «زعيم الليكود» يرىٰ أنه من الخطأ الربط بين القديم والجديد، فعرفات لم يعد ذا موضوع الآن، وبصفة خاصة؛ لأنَّ الإسلاميين سوف يستولون علىٰ السلطة ويحكمون الشعب الفلسطيني، إنَّ إسرائيل ستصبح الركيزة الاستراتيجية للغرب في المنطقة وستتلاشىٰ أي ضغوط عليها لتتنازل عن شيء، وإنَّ منطق القادة الإسرائيليين هو أن الخطر الإسلامي هو نفس خطر الشيوعية أثناء الحرب الباردة».

ويتبنَّىٰ «اللوبي اليهودي» في أمريكا وجهة نظر القيادة اليهودية بصدد هٰذا الموضوع، ومن ثم يقوم بحملة واسعة النطاق في أمريكا موجهة للرأي العام ولصنَّاع القرار الأمريكي، والأمثلة علىٰ ذلك كثيرة.

• محاولة جعل الإسلام عدواً عالمياً:

• فهناك «سمورتيمر زاكرمان» ـ رئيس تحرير مجلة الأخبار الأمريكية ـ الذي يروج للأفكار الإسرائيلية، ويقول: «إنَّ التطرف الإسلامي المسلَّح علىٰ وشك أن يحلّ محل الشيوعية كعدو لنا، وإن القيم التي يحتويها التطرف الإسلامي تناهض الديمقراطية الغربية».

• وقد صرَّح «أيموسون ستفين» ـ أحد الكتاب الأمريكيين المعادين للإسلام ـ للواشنطن بوست: أنه حصل علىٰ جزء كبير من الـ ٣٢٥٠٠٠ دولار لتمويل فيلم الجهاد المناهض للأصولية الإسلامية من مؤسسة «برادلي» في «ميلوزكي» وهي

مؤسسة يهودية.

• ويذكر «روبرت كابلان» في مقدمة كتابه «عن العرب»، وهو كتاب عن خصائص الشرق الأوسط، يدعو لمساندة إسرائيل:

«إنَّ الكتاب لم يكن ليطبع لولا المساعدة التي قدمتها مؤسسة «برادلي»، كما تمت إدارة تلك الأموال عن طريق معهد بحوث السياسة الخارجية التابع لـ «دانييل بابيس» الذي يصدر مجلة «فصلية» يقوم القناصل الإسرائيليون في أمريكا بتوزيعها».

• وفي حين وجَّهت الدعوة إلى «راشد الغنوشي» للمشاركة في حوار في جامعة جنوب «فلوريدا» أصدر «مارتن كريمر» مساعد رئيس مركز «ديان» للدراسات الشرق أوسطية في جامعة «تل أبيب» تقريراً من خلال معهد واشنطن لدراسات الشرق الأوسط وهو معهد يقف وراءه لجنة الشؤون الخارجية الأمريكية الإسرائيلية في «الإيباك» - كبرى جماعات اليهود في أمريكا - قال فيه: «إنَّ الغنوشي عارض السعودية وأمريكا إبان حرب الخليج، وعارض الاتفاق الإسرائيلي مع المنظمة، وقال: إنَّ هناك خطراً يهودياً أمريكياً يستهدف إخلاء المنطقة من أي مقاومة إزاء فتح المجال للنشاط والتعاون الاقتصادي مع اليهود، والذي يمهد للسيطرة اليهودية من مراكش حتى كازخستان».

«وإنَّ أمريكا لو أعطت الغنوشي تأشيرة دخول إليها، فإنَّها لا تعرف عدوها من صديقها!».

ولقد ذكرت الصحف التي تابعت مؤتمر شرم الشيخ: أن «كلينتون» طلب من «بيريز» عرض أفكاره في المداولات الجانبية للقمة، فشكَّل «بيريز» مجموعة عمل سريعة صاغت الأفكار الإسرائيلية التي وافق عليها كلينتون».

وفي هذا الصدد، حدَّدت إسرائيل الجماعات الإسلامية المستهدفة في المنطقة، وهي: المنظمات الإسلامية الفلسطينية واللبنانية، والمنظمات التي تتخذ لها أفرعاً في

أوروبا، والمنظمات التي تتعاون مع الفلسطينيين دون مشاركتهم في الأعمال، وأيضاً المنظمات التي تشكل خطراً فعلياً على استقرار الدول المجاورة وحكوماتها، مثل: الجماعات الإسلامية، والإخوان المسلمين».

* * *

الفصل الثالث
النظم الدكتاتورية
العدو الثالث للجماعات الإسلامية

يعتبر النظام الحاكم الدكتاتوري، أهم الحالات وأخطرها بين النظم الحاكمة على ساحة المنطقة، كما أنه أنسبها، بل أجدرها بالبحث والدراسة؛ وذلك لشدة عدائه للتيار الإسلامي، والدور الذي يلعبه على ساحة المنطقة مناهضاً مجافياً للإسلام ودعاته، والروابط الوثيقة مع واشنطن، والعلاقات الوثيقة مع الكيان الصهيوني، وأيضاً لتربعه على عرش السلطة في أكبر وأهم البلاد العربية من ناحية تاريخها الإسلامي ودورها الحضاري، إضافة إلى تمتعه بأسباب ووسائل الدعم والتأييد اللازمة كافة لحملته على التيار الإسلامي، وأيضاً لممارسة دوره على الساحة.

● تقارير خدم الدكتاتوريات عن الحالة الإسلامية:

وتحت أيدينا ثلاث دراسات وتقارير نهضت بها جهات ذات صفة أو علاقة رسمية، إضافة إلى ندوة موسعة قادها أو أدارها د. فؤاد زكريا ضمَّت رموز العلمانية في مصر وخارج مصر، كما حظيت بالرعاية الرسمية، حيث دار حوارها حول الإرهاب والتطرف.

الدراسات والتقارير والندوة، تكاد تلتقي عند معالم وتوصيات واحدة، وإن كان الأكثر أهمية من ذلك أن ما يجري من سياسات رسمية على مستوى التنفيذ إزاء التيار الإسلامي يكاد يكون في إطار هذه التوصيات والالتزام بها، ومن ذلك:

■ إنَّ هذه التقارير والدراسات جرى وضعها في عام ١٩٨٧م، ووردت بها توصيات بإحالة قضايا التيار الإسلامي بجماعاته واتجاهاته إلى المحاكم العسكرية كافة؛ لأنَّ ذلك من حق رئيس الجمهورية، إضافة إلى سرعة الإجراءات والبت في القضايا مع الحسم، كما أنَّ القضاء العسكري - على حد قول التوصيات - يعتبر قضاء له ضماناته والتزامه بالقانون وعدالة إجراءاته، وهي نفس التبريرات التي رددتها

وترددها الجهات المسؤولة في إحالتها قضايا الجماعات الإسلامية جميعاً إلى القضاء العسكري بما فيها قضايا الإخوان المسلمين التي تم تلفيقها.

■ وإنَّ هذه التقارير والدراسات، رغم أنها قد تمت صياغتها منذ سنوات تقترب الآن من العشر، فإنَّ من بين توصياتها اعتبار الجماعات الإسلامية كلها جماعات متطرفة وذات علاقات وارتباطات مع بعضها البعض، وأنها من خلال تنسيق وتخطيط تتبادل أداء الأدوار. ويعمل بها الآن، على الصعيد السياسي، والصعيد الأمني.

■ وإن كان الأخطر من ذلك: أن النظرة التي أوصت هذه التقارير والدراسات السلطة برؤية الجماعات الإسلامية من خلالها وتعاملها معها في إطارها، تتفق أيضاً والنظرة التي يرى من خلالها أهل الفكر والبحث والدراسة في أمريكا وفي الكيان الصهيوني الجماعات الإسلامية في مصر وغير مصر، ولا نحسب أن الأمر هو من قبيل توارد الأفكار أو الخواطر، بل هو من قبيل التنسيق وتبادل المعلومات والاتفاق على طرق وأساليب المواجهات.

من أجل ذلك؛ نرى أن هذه الدراسات والتقارير وما ورد فيها من توصيات وصيغ لأساليب التعامل المقترح على الجماعات الإسلامية، إضافة إلى الواقع الذي يعيشه الناس وتجري وقائعه تحت البصر، يمكن أن تعتمد كوثائق للاستدلال منها على درجة عداء النظام، ومستوى تعامله وسياساته، إزاء الحركة الإسلامية.

● العقيدة خطر على الشباب:

■ تعترف هذه التقارير والدراسات، بأن أخطر المؤثرات المحركة للجماهير، خاصة قطاعات الشباب، هو ما كان له صلته بالعقائد، وإن كانت لا تنسى أن تشير إلى أن أخطر ما يهدد الأمن القومي لمصر، هو التطرف الديني.

■ وهي ترى: أنَّ تنامي التيار الديني سياسياً وإرهابياً واقتصادياً وأيديولوجياً، هو أشد ما يكون خطراً على الأمن القومي؛ لأنَّه يصدر الفتن والخراب والدمار ويفكك عرى الأمة.

■ وتؤكد على: أن المراقب يرى تنسيقاً وتعاوناً وتوزيعاً للأدوار بين الاتجاهات المختلفة للتطرف.

■ وفي محاولة للتشويه وإلصاق التهم الكاذبة، تقول: «إنَّ استمرار التطرف الديني في مصر له علاقته بالاستعمار، وهو صورة من صور الحرب الفكرية والأيديولوجية التي تشنها قوى الاستعمار، وهو أشد قسوة وضراوة من جيوش الاحتلال، وأن «دالاس» وزير خارجية أمريكا الأسبق قد أصدر كتاباً منذ سنوات قال فيه بتوحيد القوى الدينية والروحية في القارات الثلاث لمواجهة الشيوعية، كما أنَّ «بريجنسكي» المستشار الأسبق للأمن القومي الأمريكي، قد أعلن منذ سنوات، أنه يعتبر التعصّب الإسلامي حصناً ضد الشيوعية، وأن هناك استراتيجية استعمارية لها تاريخها في استغلال الدين وتوظيفه سياسياً لصالحها، ومن ثم فلا علاقة لدعاوى التيار الإسلامي بالعقيدة، وإذا كانت ظاهرة الخوارج قديمة، عانت منها الدولة الإسلامية، وتمثَّلت في جماعات الخوارج والشيعة والمعتزلة، فإنَّها في العصر الحديث بدأت قبل الحرب العالمية الثانية وفي نهاية العشرينيات بظهور «الإخوان المسلمين» الجماعة التي انحرفت عن الرسالة ولجأت للعنف للوصول إلى السلطة باسم الدين، وقد تعرَّضت للمحاكمات والاعتقالات.

● **مغالطات وافتراءات تُثَار تمهيداً للاستئصال:**

■ تقول الدراسة: «وفي أوائل السبعينيات بدأت ظاهرة الجماعات الإسلامية المتطرفة تبرز في مصر، معظمهم الشباب الملتحي والجلابيب البيضاء والشابات المحجبات (قارن هذا بما كتبته نيوزويك أواخر السبعينيات)، وفي الجامعات ظهرت الجماعات الإسلامية، ونهضت بالدفاع عن قضايا الطلاب، وحل مشاكلهم، وتقديم المساعدات المالية لهم، ثم تحوَّلت إلى مراكز ثقل وبدأت تعترض على الأنظمة الجامعية، وترفض ما لا تراه متفقاً مع رأيها، فبدأت الصدامات.

■ وتقول هذه الدراسات: إنَّ الصدامات بين الجماعات والسلطة، عبارة عن حلقات في سلسلة دورات زمنيَّة، كل حلقة من ٥ : ١٠ سنوات تنتفض فيها الجماعات المتطرفة، وتعتنق جميعها نفس الأفكار، كما أن جميعها يسعى للسلطة.

■ «والتنظيم السري للإخوان ظهر في الأربعينيات؛ بغرض الاستيلاء على السلطة من خلال الاغتيالات، ومع حركة الجيش ١٩٥٢م حاولت جماعة الإخوان السيطرة على مجلس قيادة الثورة، وحدث تصادم وجاءت محاولة اغتيال عبدالناصر[١]، وإجراء المحاكمات وفتح المعتقلات وإصدار الأحكام بالإعدام والسجن، وفي السبعينيات برزت الجماعات، وبرزت الحملات الدينية كالاعتصام والدعوة، وجرت عملية استقطاب وتعزيز الجماعات في الجامعات واستخدامها بمعرفة أنور السادات لضرب العناصر الشيوعية؛ مما أعطى الجماعات مزيداً من القوة.

■ وخلال عام ١٩٧٧م بدأت دورة جديدة لنشاط هٰذه الجماعات تظهر مع اغتيال الذهبي[٢]، كما بدأت شوكتها تقوى مرة أخرى تحت اسم «الجماعات الإسلامية» سنة ١٩٨٠م.

■ وقد بدأت مرحلة مبارك مع اغتيال السادات، والأحداث الدامية في أسيوط التي مثلت قمة العنف باسم الدين، للسيطرة على الحكم، أيضاً وفي نفس الوقت، بدأت دورة جديدة في نشاط الجماعات.

■ ثم ظهرت دورة جديدة بعد أقل من خمس سنوات من اغتيال السادات، ولجأت الجماعات جميعها إلى العنف وصولاً للسلطة.

● **افتراءات لا دليل عليها:**

وتقول هٰذه الدراسة:

■ «إنَّ هناك سمة مشتركة بين زعامات الجماعات والمتحمسين لها، وهي: أنهم جميعاً من الشباب، ومعظمهم من خريجي الجامعات، لقد قدمت الجماعات للشباب الجامعي حلولها المسمومة، كما اصطدم هٰؤلاء الشباب بما في المجتمع من

(١) الدكتور فؤاد زكريا، صرَّح في غير موضع وكتاب، في أكثر من جريدة: أنَّ مؤامرة اغتيال عبدالناصر تمثيلية صنعها هو بمساعدة الأمريكان؛ للقضاء على الحركة الإسلامية.

(٢) اغتيال الذهبي، عليه علامات استفهام كثيرة. ومن أراد الحقيقة، فليسأل أسرته، فعندها الخبر اليقين.

تناقض، في ظل مناخ لم يقدم فيه على الصعيد الرسمي أي شيء للشباب، مع غفلة أو تغافل الأجهزة الإعلامية، وأيضاً مع انتشار الكتب الدينية المحرَّفة والداعية لتكفير المجتمع وظهور وانتشار كتب ابن تيمية التي تدعو للفتنة والفوضى والتكفير، وإنَّ «أبو الأعلى المودودي» من دعاة الفتنة في العصر الحديث، وجاء ظهور «سيد قطب» لتكون أفكاره وكتبه ومنها: (معالم في الطريق)، دعامة أساسية في فكر التكفير والفتنة، وأن المجتمعات جاهلية المفاهيم والسلوك.

■ وقد حاولت هٰذه الجماعات اختراق القوات المسلحة من خلال دفع عناصر للالتحاق بالكليات العسكرية، واستغلال العلاقة مع الضباط.

وتقول هٰذه الدراسة:

■ «إنَّ حدود الله التي تتشدق بها الجماعات الإسلامية تتعلق بكل ما في حياة الإنسان، وإن إقامتها مسؤولية شخصية على كل مسلم».

● **قصر السلطة على العلمانيين، هل هو الحل؟**

■ و«إنَّ كثرة الشعارات حول الإسلام دين ودولة، لا ندري كيف تنسجم مع السيوف التي أطاحت برقاب المسلمين في العصور الماضية، وهل كان ذلك دين أو سياسة؟ إنَّ الأمر يتطلب فصل القضايا السياسية عن الدين؛ لتحفظ على الدين قدسيته؛ لأنَّ النقد والاعتراض سيوجه للدين لو لم يكن هناك فاصل».

■ «إنَّ الاتجاهات الرئيسة في التطرف عديدة من الإخوان إلى التكفير إلى حزب الله إلى الجهاد، إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كلها لا تختلف في الأيديولوجيات أو الهدف، وهو الوصول إلى السلطة، إنَّما الخلاف في الأساليب، والأساليب تتوقف على مدى تنبه السلطة إزاء خطورتهم، ومن ثم التغاضي عنهم أو مواجهتهم أو التعاون معهم لضرب تيارات أخرى، كما تتوقف الأساليب على مدى تغلغلهم وسيطرتهم على أجهزة الدولة من أحزاب ونقابات.

● **أسماء سميتموها ما أنزل الله بها من سلطان:**

وترى هٰذه الدراسة، أنَّه يمكن تقسيم التيار الديني المتطرف إلى ثلاثة اتجاهات:

- الإسلامي السياسي.
- الاتجاه الثوري المتصف بالعنف والإرهاب.
- الاتجاه الثوري الرأسمالي.

- **الإسلام السياسي وعدم الفاعلية في مواجهته:**

والإخوان يمثلون الإسلام السياسي ـ بدؤوا معتدلين حتى قويت قاعدتهم الشعبية، ثم برز التطرف والعنف، ولقد لجأ الإخوان إلى العنف في الخمسينيات والأربعينيات، وفي السبعينيات بدأ ظهور الجماعات المتطرفة الحديثة، وفي الثمانينيات ترك الإخوان ذلك الدور لهذه الجماعات، والتزموا هم بالدور السياسي.

■ «والإخوان اصطدموا بقانون الأحزاب، مما جعلهم يعدلون استراتيجية العمل بالالتفاف حول القانون والتسلل للأحزاب كما استغلوا قدراتهم المادية وقدرتهم على الاستقطاب وتمويل الناخبين، مع التنسيق مع الجماعات الأخرى للسيطرة على النقابات، وقد تنامت قدراتهم المادية من خلال مشروعات ضخمة وبنوك إسلامية وفنادق وشركات تجارية ـ كالشريف ـ والتعامل مع شركات توظيف الأموال».

■ «هناك عدم فاعلية في المواجهة الإعلامية إزاء هذا التيار، بل هناك تقاعس من رجال الفكر والصحافة في الوقت الذي تبنَّى التيار الإسلامي السياسي صحفاً معارضة لنشر أفكارهم وطرح قضاياه، مع الإعداد لإنشاء شركة مساهمة صحفية لإصدار صحيفة، والسيطرة على مجلة «لواء الإسلام»، وطرح كتب ومؤلفات، وإقامة معارض كتب، وإجراء أحاديث صحفية مع وكالات الأنباء والصحف العالمية وإجراء محادثات مع دبلوماسيين أجانب، وتملّك مكتبات ثقافية ودور طباعة».

■ «والتيار الإسلامي السياسي، يعمل للسيطرة على المساجد، وإقامة الندوات، والمؤتمرات، والدروس، وطرح المفاهيم في المقار التابعة له».

■ وقد وصل المد الديني إلى القضاء، وصدرت أحكام تتعارض مع الخطوط العريضة لتوجهات النظام الحاكم، وبخاصة فيما يتعلق بتطبيق الشريعة، كما

صدرت أحكام تشير إلى عدم دستورية القوانين المطبقة، ومناشدات لتطبيق الشريعة، وإسقاطات على ممارسات لأجهزة رسمية، إضافة إلى ضعف قرارات النيابة حيال عناصر التطرف، كذلك أصدر القضاء أحكام براءة عديدة رغم توافر الأدلّة المادية.

■ والتيار السياسي الإسلامي، له أسفار كثيرة للخارج للمؤتمرات الخارجية، حيث يهاجم الحكم في مصر. وفي هٰذه الأسفار، يمكن جذب أموال لدعم النشاطات الداخلية، وإصدار مطبوعات، وإقامة مراكز تدريب، وهو يحاول إبراز نفسه من خلال التواجد على الساحة الدولية من خلال القيام بوساطات.

● **الإسلام الثري وحجم التجني:**

■ أمَّا أصحاب التيار الثَّروي الرأسمالي، فهم الذين جمعوا الثروات من الخارج ومن الخليج، ومن عائلات في الخارج تنتمي للجماعات الدينية. وأصحاب هٰذا التيار يرون إمكان الوصول للسلطة وإقامة نظام على النمط السعودي، كما أنهم يلعبون دوراً في تمويل الجماعات المختلفة، وعقدوا تحالفات مع قيادات حاكمة أيام السادات، ويعقدون تحالفات مع أحزاب معارضة، وأقاموا مشروعات أصبحت تهدد الاقتصاد المصري، ويمولون مشروعات خطيرة؛ كالطباعة، والنشر. وهٰذا التيار في سبيله لتكوين لوبي ـ أو جماعة ـ مصالح مشتركة، كقوة ضغط.

● **التيار الإرهابي المصنوع:**

■ وفي اجتماع تيار الإسلام السياسي والتيار الإرهابي العنيف والتيار الثروي، أخطار كثيرة:

فالتيار السياسي يطرح شعارات يصعب التحاور معها، مثل: القرآن دستورنا، الإسلام مصحف وسيف. والاتجاه الثروي يتحكم في الاستثمار. والاتجاه الراديكالي يلوِّح بالعنف. وقد ثبت أن هناك تنسيقاً بين هٰذه التيارات، ولا يمكن أن يتم التنسيق دون جهاز خاص به.

● **أصحاب المصالح ومدى حيرتهم في تنامي الإسلاميين:**

وتتكلَّم الدراسات والتقارير الرسمية، عن أسباب تنامي التيار الإسلامي المتطرف: فترىٰ أنَّها ـ **حسب رأي اليساريين والناصريين** ـ تعود إلىٰ:

- اللحظة التاريخية التي تقرر فيها انتهاج سياسة الانفتاح الاقتصادية؛ أي تبني الاختيار الرأسمالي.
- ضيق مناخ الديمقراطية للقوىٰ السياسية كافة.
- غياب القضية الوطنية بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣م.
- زيادة سفر المصريين للخارج.
- بروز ثورة إيران.
- الجهات الدولة واهتمامها بالحالة المصرية.

أمَّا الليبراليون، فيرون أنَّ تنامي التيار الإسلامي يعود إلى:

- التشجيع الحكومي قبل ثورة ١٩٥٢م.
- اتفاق المصالح الدولية.
- تأميم الدين بعد هزيمة ١٩٦٧م.
- الفراغ الثقافي.
- التركيب المذهبي في الدولة.
- استهوائية الزعامة.

وعند العلمانيين تعود أسباب انتشار التيار الإسلامي، إلى:

- دمج الدين في السياسة رسمياً.
- فشل الدولة أدَّىٰ إلىٰ بزوغ التيار الإسلامي.
- إنشاء المؤسسات المالية والخدمية.

■ الحصول على الشرعية بالتحايل، حتى وصلوا إلى البرلمان وكان لهم ٣٦ عضواً سنة ١٩٨٧م.

■ كما أنَّ تيار المؤسسة الدينية الرسمية، قد ساهم في دعم هذه الجماعات، ومن أمثلة ذلك: بيان شيخ الأزهر قبل انتخابات ١٩٨٧م، والذي استغله التحالف في منشوراته وصحفه، حيث دعا الناخبين إلى إعطاء أصواتهم للمطالبين بتطبيق الشرعية، وهي إشارة واضحة لدعم التحالف.

أمَّا الأكاديميون، فيرون أنَّ أسباب انتشار التيار الإسلامي، تعود إلى:

■ تعثر الجهد القومي التنموي.

■ اهتزاز القيم والمعايير الاجتماعية.

■ استخدام الدولة لسلاح الدين لتقرير شرعية سياساتها.

■ إغلاق مسالك التعبير الشرعي عن الرأي.

■ شدة قسوة الظروف الاجتماعية.

■ هذا، بالإضافة إلى عوامل خارجية، مثل: الثورة الإيرانية.

وقد رأت الدراسات والتقارير الرسمية، أن اتساع رقعة التيار الإسلامي، إنَّما تعود لأسباب، أهمها:

■ الاغتراب أو الضياع السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

■ الهزيمة والبحث عن الجذور.

■ غياب القضية الوطنية التي يتمحور حولها الشعب.

■ الأزمة الاقتصادية.

■ استغلال نظام الحكم للتيار الديني في مواجهة التيارات الأخرى.

■ انخفاض درجة السماح الديمقراطي.

■ مصالح القوى العظمى في المنطقة.

■ أخطاء المعالجة، وغياب القدوة.

■ وجود مناطق حوار محرَّمة .

● **الجماهير ومصداقية الحكم:**

كما أكَّدت هـٰذه الدراسات علىٰ :

■ أن الجماهير فقدت الإحساس بصدق الأيديولوجية المطروحة من جانب الحكم، ورأت أنها غير مرتبطة بطبيعة الشعب، وأن تجربة النظام الحاكم الحالي في هـٰذا المجال تعتبر رابع تجربة بعد الميثاق وبيان ٣٠ مارس وورقة أكتوبر، وقد فشلت جميعها في ملء الفراغ الفكري أو العقيدي عند الناس .

■ هـٰذا بالإضافة إلىٰ اختلال قيمة العمل حيث ترىٰ الجماهير أنَّ هناك من يثورون دون أن يعملوا، وأيضاً هناك قضايا الفساد والإثراء غير المشروع، وتهريب الأموال، مع الشعور بعدم الانتماء وفقدان الشخصية الملهمة التي يجتمع حولها الناس .

■ وقد صار الناس ـ حسب الدراسات الرسمية ـ مشتتين بين مفاهيم أيديولوجية عديدة؛ مما جعلهم لا يدركون إذا كان النظام رأسمالياً أو اشتراكياً أو علمانياً، أو هو نظام عربي أو ديني أو فرعوني، فساعد ذلك علىٰ وجود حالة الضياع .

وحين تعرَّضت هـٰذه الدراسات لموضوع «القضية التي يمكن طرحها لجمع الناس حولها وإخراجهم من حالة النفور والابتعاد إلىٰ حالة الاقتراب والالتفاف حول النظام»، قالت: إنَّ قضية «الأزمة الاقتصادية» تعد سبيل ووسيلة الجماعات الإسلامية لغزو الأحياء والمناطق الشعبية، كما أن مواد الدستور التي تنص علىٰ أن الإسلام دين الدولة وأن الشريعة مصدر التشريع، وذلك أيضاً من بين القضايا التي يستغلها التيار الإسلامي كي ينتشر ويتسع، هـٰذا بالإضافة إلىٰ أيديولوجية البُعْد العالمي لفكر الإسلام السياسي العابر للحدود، حيث يظل مفهوم الأمة الإسلامية هو الأساس عند الشعوب .

● **تصيد الأخطاء لمنع الوجود القانوني أو المشاركة في الحكم:**

كما ترىٰ هـٰذه التقارير والدراسات أنَّ التطرف الديني الذي يتمثَّل في الجماعات

الإسلامية كافة، له أخطاره العديدة على مستوى ضرب الوحدة الوطنية وتحويل البلاد إلى إيران إذا وصلت الجماعات الإسلامية إلى السلطة ونشر معايير وقيم جديدة وتوجيه الضربات للقيم الموجودة، إضافة إلى نشر حالة من الصراع الفكري والحضاري، كما تقوض شرعية الدولة؛ لأنَّها تتهمها بعدم الاستناد للحاكمية الإلهية ولا تطبق الشريعة، يضاف إلى ذلك أنَّه قد تفشَّت في القضاء ظاهرة التمرد على القوانين وعدم تطبيقها بحجة مخالفتها للشريعة.

أمَّا أخطار إنشاء حزب ديني في البلاد، فإنَّ منها الوصول إلى السلطة، وقلب النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي، وأيضاً ضرب الوحدة الوطنية، والقضاء على الديمقراطية والحياة الحزبية، وصبغ الحياة المصرية بصبغة دينية متزمّتة، وتقويض المؤسسة الدينية الرسمية.

وترى التقارير والدراسات الرسمية أن دور ونفوذ الإخوان بين الجماعات الإسلامية هو الأقوى، وأنهم يلعبون دور القلب بالنسبة للحركة الإسلامية.

• كيفية مواجهة الحالة الإسلامية:

وتتعرض الدراسات للبدائل المطروحة لمواجهة التطرف، ومنها: التجاهل، أو الاستجابة لمطالبه، أو الاحتواء، أو التكيف مع المواجهة على مختلف الأصعدة الأمنية والاجتماعية والاقتصادية والقانونية والسياسية.

وترى هذه الدراسات: أنَّ المواجهة الأمنية وحدها قد تؤدي إلى زيادة حجم التوتر في البلاد على المستوى الاجتماعي والسياسي والوصول إلى درجة الانفجار مما يطيح بالنظام بأكمله، إذا لم تكن هذه المواجهة في إطار استراتيجية كاملة تتضمن:

- المواجهة الاقتصادية العاجلة للمطالب المعيشية الملحَّة.
- توسيع قاعدة النظام الاجتماعية.
- حل المشكلات الاجتماعية للفئات الأكثر نشاطاً وحركة.
- تقوية جهاز الدولة ودعم هيبته.

- تجميع القوىٰ المناوئة للتيار الإسلامي، والتعاون مع الأحزاب والقوىٰ السياسية من اليمين واليسار.
- الحيلولة دون انتشار التيار الإسلامي في الفئات والطبقات الاجتماعية التي لم ينتشر فيها.
- تنشيط الثقافة ومراجعة النظام التعليمي وتوجيه ثقافة الأمة.
- تقوية جهاز الأمن.
- مراعاة تجنب الانفجار والأخطار.

وترىٰ هٰذه الدراسات: أنَّه لا ينبغي التهوين من أمر التطرف، كما يجب إعلان أن كل المجتمعات فيها تطرف ولتبقىٰ قضية نمو هٰذه التيارات وازدياد حجمها من القضايا الرئيسة، مع ملاحظة أن المواجهة البوليسية قد تؤدي إلىٰ انزواء أفراد هٰذه التيارات تحت الأرض وتترعرع الأفكار، أيضاً يجب ملاحظة أنَّه لم يتم الوصول إلىٰ حل أو نوع من الاتفاق بين الدولة والدين.

- **الاستيعاب الديني... ولكن...**

وترىٰ هٰذه الدراسات أيضاً: أنَّه من الممكن أن تقوم الدولة والمجتمع بعدد من الأمور التي تؤدي إلىٰ استيعاب هٰذا التيار في إطار المجتمع، ومنها:

- ألَّا يستخدم الدين كسبيل للتبرير أو التشهير.
- ولا يزج به في قضايا سياسية أو اجتماعية.
- مع توفير مناخ للحوار بين الاتجاهات المختلفة وبين التيار الإسلامي، علىٰ أن ترمي الدولة بثقلها وراء التيارات المعادية لهٰذا التيار.
- توفير إطار لا موضوعي للتيارات الدينية للتعبير عن آرائها وللتنفيس عن الكبت، ولكشف ومعرفة حقيقة أهدافها، فليس من الأسلم بالنسبة للمجتمع ألَّا يُتَاح لهٰذه التيارات فرصة للتعبير، أو ألَّا تظهر علىٰ سطح الأرض.
- فتح الحوار الديني مع الشباب، وإقامة مؤسسات سياسية تكفل المشاركة في

القرارات، مع زيادة الإنتاج وتوفير العدالة والسعي لاختفاء الاستفزاز الاجتماعي، وتمثل القدوة في المسؤولين.

● الفراغ الفكري وعلاجه:

وتعزو الدراسات الرسمية الفراغ الفكري في المجتمع؛ للحزب الحاكم، وأنه حزب موجود من خلال السلطة، وليس من خلال التواجد في الشارع، وقد وصفت هٰذه الدراسات الحزب الوطني بالكسل الفكري في مواجهة التيارات الإسلامية.

■ واقترحت إيجاد أيديولوجية لجمع الناس حولها، وفي رأيها أن هٰذه الأيديولوجية يمكن أن ترتكز على العدالة الاجتماعية، والحرية السياسية، والاستقلال الوطني، مع ضرورة ظهور إنجازات يحس بها الناس ويلمسونها.

■ كما اقترحت تكوين مجموعة خاصة تلحق برئاسة الجمهورية أو الحكومة، مهمتها: التخصص في دراسة ما يتصل بالتيار الإسلامي، على أن تُزَوَّد هٰذه المجموعة بالمعلومات اللازمة، وعلى أن تعرض إنجازاتها كافة على القيادة السياسية.

● حشد الأجهزة وإصلاح الأوضاع كعلاج:

■ وقد أوْصَت هٰذه الدراسات: بأن تنهض جميع أجهزة الدولة المختلفة ومنها: الإعلام والصحافة والجامعات والمدارس، بالتركيز على الشرعية الدستورية للنظام، وأنها شرعية مستمدة من الشعب، وأن القوانين مطابقة للشريعة، وأن فكرة الحاكمية لله فكرة غير إسلامية؛ لأنَّها تؤدي إلى فكرة الحق الإلٰهي.

■ وفي مجال السياسة الإعلامية، ترى الدراسات أن تنهض الأجهزة الإعلامية بترسيخ الاعتزاز بالوطن، ونشر القيم الأخلاقية التي تمنع العدوان، وأيضاً الحيلولة دون ظهور نجوم تليفزيون من علماء الدين، ومراجعة الأحاديث الدينية، وتفسير القرآن قبل نشرها أو إذاعتها، مع عرض مسلسلات وأفلام للتعبير عن الواقع التاريخي الحقيقي للإسلام، إضافة إلى شن الحملات ضد الإرهاب، وضرب المثل الواقعي بإيران، والتأكيد على أن العمل السياسي ليس ركناً من الدين، وتشجيع التنوير الإسلامي، وعدم السماح بتكوين حزب على أساس ديني.

■ وقد أوصت هـٰذه الدراسات والتقارير كذلك، بتعديل قوانين النقابات، وبيان أن فكرة الخلافة ليست في الإسلام.

■ وأيضاً أوصت الدراسة بتوعية الأمن وتكثيف التوعية بين القضاة، مع المراجعة الصارمة لكتب الأزهر التي يستند إليها المتطرفون، ووضع حد فاصل بين ممارسة الشعائر الدينية وممارسة العمل السياسي، مع السعي لنشر «عقيدة» ترتكز على حُبّ البلاد ومساندتها والذَّوْد عنها والتضحية من أجلها والعمل على وحدة أبنائها وربط ذلك بالله والسعي لرضاه؛ حتى يتم ترسيخ تلك العقيدة البديلة في ضمير ووجدان كل فرد من أبناء البلد، ويمكن دعم ذلك دينياً بذكر أن العرب قد ورد اسمهم في القرآن وأنهم كنانة الله في أرضه وأن حبهم والعمل من أجلهم قُرْبَى إلى الله عز وجل، كما أنَّه يجب صياغة مشروع قومي حضاري عربي.

■ وبجوار ذلك، يجب إعادة النظر في أماكن اللهو والملاهي وصور الابتذال واعتبار أن السياحة ليست في دور العرض الرخيص ـ تحقيق الانضباط ـ والعناية بالميدان الرياضي ـ والمصارحة في معالجة المشاكل ـ وإجراء مسح شامل في الشرطة والقوات المسلحة، إضافة إلى المتابعة الدقيقة في الاثنين؛ لضمان خلوهما من عناصر التطرف.

■ وترى هـٰذه الدراسات أيضاً: أهمية وضع قوانين لتجريم النشاط الفكري الهدَّام خاصة الذي يستخدم الدين كشعار لإخفاء أغراضه في قلب نظام الحكم.

■ وقد عادت الدراسات لتؤكد على أهمية انتقاء رجال القضاء الذين يُوكَل إليهم نظر القضايا الحساسة.

■ كما توصي هـٰذه الدراسات بإيجاد ربط بين قيادات أو عناصر من الجماعات الإسلامية ورجال الأمن (أي اختراق هـٰذه الجماعات)، والإفادة من العناصر الموجودة في السجون بعد تجريدها من أفكار العنف، ويوازي ذلك أيضاً رصد نشاطات هـٰذه الجماعات في الخارج.

* * *

الفصل الرابع
دوافع العداء
ومواقع الالتقاء بين الأعداء

ثمة سؤال يطرح نفسه، وإن كنا نحب أن إجابته ليست عسيرة، وهو:

ما الذي يدفع الولايات المتحدة الأمريكية، والكيان الصهيوني، والنظم الدكتاتورية على الساحة العربية والإسلامية، إلى معاداة التيار الإسلامي وشن الحرب عليه؟!

● **أسئلة يحسن الإجابة عنها:**

وربما يترتب على هذا السؤال سؤال آخر - وإن كانت الإجابة عليه ليست هي الأخرى عسيرة - وهو:

ما مواطن الالتقاء بين أطراف العداء للتيار الإسلامي؟ وإلى أي حدٍّ يجري التنسيق بين السياسات؟

لقد أعلنت الحركة الإسلامية المتمثلة في جمهور المسلمين، عن الأساس العقيدي الذي تسعى لإقامة بناء الدولة والفرد، مرتكزاً عليه وهو الإيمان بالله رباً دون شريك، كما أعلنت عن المنهج الذي يسعى لإعادة الدولة والفرد للعيش في أجوائه وإطاره وهو منهج الإسلام ونظامه، وأيضاً أعلنت الضوابط والضمانات التي تحكم هذا البناء في عودته إلى مسيرته الأولى، وهي القانون والتشريعات المستمدة من الإسلام كشريعة، وأيضاً هي تلك التي يربيها الإسلام في النفوس والعقول وأعماق القلوب، كضمير حي ونفسٍ يقظةٍ حيةٍ تصون وتحمي وتمنع الإنسان من الانحراف أو الاعتداء، أو الهدم أو التدمير، كما أنها كذلك تتمثل في قيم ترتفع بالفرد إلى مستوى الدور الحضاري والريادي.

كما أعلنت، ومن خلال أدبياتها ومنذ الأيام الأولى لنشأتها، أنها تسعى لإحياء الوحدة بين المسلمين على أساس من الأخوّة في الدين والحبّ في الله، كما تسعى من منطلق العقيدة والشريعة إلى جعل الإسلام نظام ومنهج حياة يؤكد على الأسس

الربانية ويدعم النفس بالقيم والْمُثل، ويأخذ بسلاح العلم والتقدم، ويقتدي بمسيرة السلف الصالح وصولاً إلى دولة إسلامية لها مكانتها على الخريطة العالمية، ولها دورها في السياسة العالمية، تقود ولا تُقَاد، ترفض التبعية، كما تصون مواردها وطاقاتها وتستغلها لصالح أجيالها وتعزيز مكانتها، تقتلع كل جذور الاستعمار والتدخل الأجنبي في أي بقعة من الأرض الإسلامية، وسلاحها في ذلك هو الجهاد بالدم والمال، ومن ثم يكون من الواضح أن هناك نقاط افتراق وليس التقاء بين الحركة الإسلامية وبين جهات العداء الثلاث على الجانب العقيدي، وعلى الجانب البنائي والتشييدي، وعلى ساحة التوجهات والأهداف والغايات.

● الإسلام خطر على مَنْ...؟

في رحلة إلى أوروبا عام ١٩٩٥م صرَّح رئيس عربي بأن الجماعات الإسلامية تريد وتسعى لتقويض الدولة العلمانية في البلاد، وإقامة دولة إسلامية على أنقاضها، ومن خلال التصريحات الرسمية كافة، يجري التركيز على الفصل بين الدين والدولة، ومن خلال السياسات الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية كافة، يجري التأكيد الرسمي على أنه لا دخل للدين بشئون الناس الاقتصادية أو قضاياهم التعليمية أو الاجتماعية.

كما أن السياسة الرسمية قد أكَّدت على الروابط الوثيقة مع أمريكا، وباتت تعتمد على الدعم الأمريكي الاقتصادي والسياسي، بل والعسكري، كما أكَّدت من خلال معاهدات السلام على العلاقة الوثيقة مع الكيان الصهيوني، معلنة انتهاء المواجهة والقبول بالأوضاع الراهنة، والعيش في إطار واقعها وظلاله.

ولأنَّ النظام الدكتاتوري الحاكم يدرك ـ من خلال الدراسات الرسمية التي أجرتها لجان مشتركة بمعرفته ومن خلال تقارير أعدتها أجهزته ـ أنه لا وجود له في الشارع الإسلامي، وأن إقبال الناس على إسلامهم ـ وبخاصة بعد عديد من التجارب المريرة، أمر لا شكوك إزاءه أو حوله، لذلك فقد اعتمد هذا النظام سياسة القمع إزاء الحركة الإسلامية، وسياسة التزييف والتزوير إزاء إرادة الجماهير،

وسياسة الاعتقالات والعصا الغليظة لقهر الناس، وسياسة الاعتماد على واشنطن لتثبيته فوق كراسي السلطة، أي أنه صار هناك ارتباط مصيري بين النظام الحاكم الدكتاتوري وبين الولايات المتحدة التي ترى في الإسلام مصدر التهديد الرئيس لمصالحها ولوجودها ونفوذها في المنطقة، وبخاصة أن التاريخ قد سجَّل من قبل الكثير عن الدور البطولي تحت راية الإسلام في مواجهة القوى الخارجية، وتأكيده على الاستقلال والمنعة على الساحة الإقليمية، ومن هنا كان الدعم الأمريكي للنظام الحاكم المعزول كي يواجه الحركة الإسلامية وكي ينهض بدوره على ساحة ما يسمى بالسلام مع الكيان الصهيوني، وفتح الجدران العربية أمام تطلعات وزحف هذا الكيان، كما كان الدعم الأمريكي للكيان الصهيوني منذ الإعلان عن قيامه وحتى نجاحه في عقد المعاهدات والاتفاقيات مع الحكومات العربية، معترفة بوجوده، مرحبة بالتطبيع معه، فاتحة أبوابها ونوافذها أمام جحافله.

وإذا كانت الولايات المتحدة تحسّ الخطر داهماً إزاء نفوذها وسيطرتها على المنطقة وإزاء مصالحها وأهدافها، بل وإزاء نفوذها على الساحة العالمية في حالة قيام دولة إسلامية توحد بين المسلمين، فإنَّ الكيان الصهيوني يحسّ نفس الأخطار من قبل الإسلام، وبالشكل الذي دفع ويدفع زعماء الصهاينة إلى التصريح دونما مواربة، عن قلقهم إزاء الصحوة الإسلامية، وعن ضرورة مواجهتها ودفع النظام لضربها، ونحسب أن تجربة جهاد جماعات من المسلمين في فلسطين ماثلة في الذهن الصهيوني، كما أن الخلفيات التاريخية للموقف اليهودي من الإسلام تعيش حيَّة يقظة في الفكر الصهيوني، يعبّر عنها في أدبياته كافة، كما يعبّر عن عدائه إزاء الإسلام والمسلمين في جهر يصور مبلغ العداء، ومبلغ الحقد، من أجل ذلك كان التنسيق بين أجهزة الأمن، كما كانت المعاهدات الأمنية بين أمريكا وإسرائيل، كما جاءت بنود الاتفاقيات والمعاهدات بين إسرائيل وحكومات العرب تؤكد على ضرورة المواجهة مع التيار الإسلامي، مثلما جاءت تصريحات المسؤولين الأمريكيين منذ قيام الكيان الصهيوني وحتى اليوم تؤكد على دوره في المنطقة إزاء المد الإسلامي.

وإزاء مواجهة الأخطار كافة التي تهدد المصالح والنفوذ الأمريكي، والمؤتمرات التي يجري عقدها لبحث ودراسة موضوع الإرهاب سواء على الساحة المحلية أو الإقليمية أو العالمية، مثلها مثل الاتفاقيات الأمنية التي يجري عقدها بين عديد من الأطراف، تسعى كلها لتكتل الجهود والإمكانات كافة لتشويه الإسلام والمسلمين، وتعبئتها لضرب الحركة الإسلامية وملاحقتها، وهي واحد من الدلائل الملموسة على التنسيق بين أطراف العداء والتعاون بينهم؛ لبلوغ النتائج والأهداف، الأمر الذي يجعل الحركة الإسلامية أمام عدد من الحقائق بالغة الأهمية. ومن ذلك:

• إنَّها تواجه جبهة من الأعداء تمتلك العديد من مصادر ووسائل القوة والإمكانات علمياً، وتكنولوجياً، وأمنياً، وعسكرياً، وإعلامياً، واقتصادياً.

• إنَّ النظم الحاكمة في المنطقة، تتكفَّل بالتعامل المباشر مع الحركة الإسلامية حتى تبدو المسألة وكأنها لا تعدو الأمور داخلية، وإن كانت المؤشرات كثيرة ـ وبخاصة في الفترة الأخيرة ـ قد توافرت لتؤكد أن النظم الحاكمة على ساحتنا تنهض بهذا الدور التدميري إزاء الحركة الإسلامية، من خلال التقاء في السياسات بين أركان العداء، وتنسيق بين الأجهزة المختصة لدى أطرافه، مع دعم وتأييد تعدى صمت الرضا ليصل إلى مستوى مطالبة الحكومة الأمريكية باعتقال العناصر الإسلامية على الساحة العربية، وملاحقتها بالتعذيب والتنكيل، مع إعلان مصادر مسؤولة في هذه الإدارة عن الرضا الأمريكي إزاء ما يجري من مصادرة لحقوق الإنسان المسلم على الساحة العربية والإسلامية، لا لشيء إلَّا أنَّه قد أعلن انحيازه للإسلام.

• إنَّ الفترة التي تحياها الحركة الإسلامية اليوم، فترة حافلة مشحونة بالأخطار والضغوط والمواجهات والعديد من أشكال الحصار والتطويق، بل ومحاولات التخريب والتدمير، الأمر الذي يتطلب الارتفاع إلى مستوى المواجهة والتعامل مع هذه الأخطار، ومستوى دراستها وبحث أبعادها، وإعداد التخطيط العلمي المناسب للتصدي لها.

● **التصور لأبعاد المعركة واعتباراتها الحتمية:**

إلَّا أنَّه مع ضرورة التصوير السليم والفهم الصحيح لأبعاد المرحلة الراهنة بأخطارها وضغوطها وأطراف العداء التي تهيمن وتتابع وتلاحق، والأجواء القاتمة التي تفرض نفسها على الديار، والتي تحتم جميعها على الحركة الإسلامية أن تجند كل الإمكانات والوقت لمواجهتها والتعامل معها، فإنَّه ينبغي أن تضع الحركة الإسلامية نصب الأعين مجموعة من الاعتبارات الهامة، التي كان لها - وما زال وسيظل - أثرها الفاعل بالنسبة للإسلام والمسلمين وبالنسبة لأعداء الإسلام والمسلمين، ومن ذلك:

الاعتبار الأول: يتعلق الجانب الإلهي، وما في غيب الله عز وجل بالنسبة للإسلام وللدعاة، فقد وعد سبحانه وتعالى، ووعده الحق - بنصرة الحق وإجلاء الحقيقة، وحفظ دينه.

الاعتبار الثاني: وله صلته بالاعتبار الأول، وهو المتصل بسنن الله في كونه وخلقه: يعز ويذل، ويحفظ ويرعى، أو يزلزل ويقوض.

أمَّا الاعتبار الثالث: فهو المتصل بخلوص النيات والعمل والسعي للدعوة، مع وضوح في الرؤية، وشحذ للسواعد والهمم، واستقامة للوجهات، وأخذ بالأسباب، ومعرفة بمعالم الطريق. وما كان لله دام واتَّصَل.

من كان يظن أن انهيار الاتحاد السوفييتي سيكون مع بداية التسعينيات بعد أن كان إحدى القوتين العظميين وهيمن على مساحات شاسعة في الشرق والغرب وهدد عروشاً، وطوى رؤساء وملوكاً ودولاً؟!

ومن كان يظن أن تطرح دراسات تتحدث عن انهيار سيُطال الولايات المتحدة، على مستوى المدن، وليس على مستوى الأقطار والدول؟!

فالآمال في الله وحده لا تخبو ولا تذوب، بل تنمو وتكبر، إلَّا أنَّه مع الآمال والثقة فيه - سبحانه - يكون العيش في جو المرحلة فهماً وإدراكاً وعملاً وسعياً وإعداداً.

أيضاً هناك العديد من الثغرات والفجوات في سياسات وتوجهات النظم الحاكمة، أغلبها نتيجة خلل في المفاهيم أو افتقاد تصحيح المعايير، أو افتقار للضوابط الداخلية في القلوب والنفوس، أو الخارجة في القوانين والتشريعات التي لا تطال الكبار، أو لا ترقى إلى مستوى اجتثاث الفساد.

كما أن هناك خواء في الاعتقاد، وتهافتاً على المصالح الخاصة، وانتهاكاً للمصالح العامة، ويوازي هذا كله فشل على ساحة الجماهير، يؤكده عجز النظام عن تشكيل قاعدة شعبية تناصره أو يستند إليها، بل إن الأمر وصل إلى حد انفضاض الجماهير عنه في بُغْضٍ وابتعاد عنه في جفاء، حتى إنَّ الدراسات الرسمية تصف حزبه بالفشل والكسل، وأنه حزب السلطة.

* * *